رؤى نحيا بها

a vision we live by

الصلاة وتعلم التحليق عالياً !
القرآن الكريم وخطوات لفهم قصة الحياة . .
الأحكام الشرعية وصنع الحضارة . .

ش. عبد الله القيصوم
SH. Abdullah alqaissoom

محفوظة
جميع الحقوق

الطبعة الأولى
١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م

هوية الكتاب

الكتاب: رؤى نحيا بها.
المؤلف: الشيخ عبدالله القيصوم.
الطبعة: الأولى - ٢٠١٧م - ١٤٣٨هـ

(يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا
دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء
وقلبه)

الأنفال الآية ٢٤

1

التحليق عالياً

كيف نصلي؟!
سؤال عظيم!..

قد يحتاج الإجابة عليه إلى كتاب ضخم على الأقل، لكن ولما كان "ما لا يدرك كله لا يترك جله" سأحاول استعراض شيئ مهمٍ مغفول عنه عادة في خارطة الجواب، بإذن الله تعالى.

عليّ أن أقول قبل ذلك أنني لن أتعرض في الإجابة على السؤال كيف نصلي؟، لكيف نكبر؟ وكيف نسجد؟ أو ماهي آداب القنوت، وسنن التشهد...إلخ .. وليس المقصود شرائط الصلاة من القبلة والساتر والمكان وغيرها..

وإنما ما يهمنا هنا هو كيف يمكننا أن نفهم الصلاة؟ مقدمةً لنقيمها في حياتنا واقعاً..

ولذا كان كان هذا السؤال محوري..

إذ (...لا خير في عبادة ليس فيها تفكر)[1]

فما فائدة أن يكون الإنسان دقيقاً في كيفية أداء الصلاة من الناحية الشكلية الظاهرية، وصلاته لا تأثر على حياته بشيء..

نعم نسمع المؤذن يصدح في كل يوم "حي على الفلاح"

ولكن هل هذه الصلاة واقعا سببت لي النجاح وستسبب لي الفلاح؟!

أم نحن نتلو أذكار الصلاة ولا نفهم معانيها ؟!

بالطبع ليس لفهمها حد، فحتى العلماء الأعلام من العرفاء بالله قد لا يدعون لأنفسهم فهم تمام الصلاة، لأن الصلاة عبادة (وقيل: إن الصلاة أفضل العبادة لله) [2] ثم إنَّ (أول العبادة معرفته) [3] كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام

و معرفة الله ودرك عبادته نور، والنور نتاج العلم ، والعلم لاحدود له، ثم إن الصلاة ذكرى للمؤمنين، والتذكرة لا غنى عنها..

١-الكافي الشريف ج١ ص٣٦.

٢-مستدرك الوسائل ٣/٣٤ ب٨ ح١٠.

٣-تحف العقول ص٤١.

وثمرة العلم والتذكرة: العمل الصالح، والغلبة على الشهوات، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر وغيرها... وكل هذا فضل الله، وفضل الله لا نهاية له، وعطاؤه لا حدود له..

من هنا كان لا نهاية لفهم الصلاة ومن هنا كانت (... معراج المؤمن)[٤] و(...خير موضوع)[٥] و(...عمود الدين).. ومن هنا نفهم أيضاً لماذا إمامنا زين العابدين كرر (إياك نعبد وإياك نستعين)- ويقال آية أخرى- ثم هوى روحي وروحك فداه مغشياً عليه..

هنالك خلل ، وهو ما سأحاول معالجته هنا بخطوات عملية تتلائم واحتياجات الشباب والشابات اليوم..

٤-بحار الأنوار ج٧٩ ص٣٠٣.

٥-**مستدرك الوسائل ٤٣/٣ ب١٠ ح٨.**

الشرح المختصر للجانب اللفظي والشكلي من الصلاة:

أولاً/ القيام:

وقد ذكر الفقهاء: أن القيام من شرائط صحة الصلاة كل ما حصل التمكن.

فلماذا القيام في الصلاة؟!

جواب هذا صعب، لكن قد يقال: إنّ القيام بين يدي الرب هو نوع من استشعار التوجه لله جل وعلا، ولعله تعبير عن القيام الإجباري الذي سيقومه الإنسان في يوم المحشر، هناك حيث جميع البشر..
وهو مقدمة وممهد للوصول إلى المراحل الروحية العليا التالية، وبالخصوص في الركوع والسجود[٦]...

٦- راجع قاعدة «لا تعاد».

ثانياً/تكبيرة الإحرام:

(الله أكبر)! ، ماذا تعني هذه العبارة التي نكررها دائما؟! وما هو الهدف من تكرارها؟!

-

هل (الله أكبر) بمعنى أن الله أكبر من الشمس؟! أو أكبر من الكون؟! أو أكبر من شهواتنا وأهوائنا؟! أو أكبر من كل الاهتمامات الدنيوية المادية والمعنوية؟!

كل ما سبق غير صحيح!
وذلك لأننا بذلك نكون قد قسنا الله، وقارناه بالشمس، والكون، وشهواتنا، وأهوائنا، وكل اهتماماتنا الدنيوية!
والله سبحانه، عزَّ وجل عن كل ذلك، فقياس أي شيء عليه باطل..
حيث أن (أكبر) على وزن (أفعل) وهي ماتسمى بـ(أفعل التفضيل)، وهذا يعنني أننا عندما نقول (الله أكبر من الكون) فنحن نقول الكون كبير، لكن الله أكبر!، ثمّ لما كان هنالك تباين بين المقيس والمقاس عليه، كان وكأننا نقول علي شجاع لكن هذا الخبز لذيذ، أو كأننا نحاول الإجابة على السؤال: كرسي+طاولة=؟!

إذ أن دائرة الخالق خارجة تماما عن دائرة المخلوق، ولا قياس بين المخلوق، والله عز وجل، وذلك بحكم العقل والنقل[٧]

فماذا تعني (الله أكبر) إذن؟

كان الإمام الصادق عليه السلام يفتح المجال أمام الناس للتشرف بالجلوس لديه وسؤاله وطلب العون منه كما جرت العادة من رسول الله وعلي والحسن والحسين عليهم السلام... وأيضا كذلك كان الوضع تماماً بين النساء حيث كانت النساء يستقين من عذب فاطمة عليها السلام ومن بعدها الحوراء السيدة زينب، وفاطمة بنت زين العابدين، ومن بعدها فاطمة بنت محمد باقر علم الأولين والآخرين مروراً بعالمة آل محمد فاطمة المعصومة مليكة قم... نوراً وعلماً وحكمة..

وكذا كان الأمر في زمن ولي الله إمام الشيعة الذي ننسب إليه، جعفر الصادق عليه السلام..
وفي ذلك المجلس قال أحدهم: (الله أكبر)

٧-وقد تعرضنا لتفصيل هذا بصورة أعمق في (دروس في العقائد الإسلامية الإستدلالية) -مخطوط-.

فسأله الإمام عن معناها
فأجاب الرجل بما يشبه ما ذكرناه قبل قليل..

فقال له الإمام: حددته! (أي بمقايستك إياه بمخلوقاته- وكل شيء خلقه- سبحانه وتعالى)
فقال الرجل: كيف أقول؟
قال أرواحنا فداه: قل: «الله أكبر من أن يوصف»[٨]

إذن إنَّ علينا أن نستحضر هذا المعنى لـ(الله أكبر) دائماً..
أما لماذا التركيز على هذه العبارة في صلاتنا وتكرارها كثيراً، فهذا ما يحتاج إلى بحث مفصل ومتشعب، ولكن باختصار:
إنّ إحدى أهم الجوانب في ذلك، راجع لكون الإنسان يميل دائماً لتشبيه الله وتخيله، وبالرغم من أن هذا أول الدين -الذي تكامَل فيما بعد- إلا أنه كان وما زال ابتلاءاً لجميع البشر!
ولذا وكما يقول الأستاذ العلامة الشيخ معتصم سيد أحمد: إن جميع الأديان والمذاهب -تقريبا- وقعت في تشبيه الله بشكل أو بآخر!، أما المعرفة الحقة فهي المستقاة من أهل البيت عليهم السلام.

من هنا تتجلى أهمية أن نستشعر دائما أن (الله أكبر)..

٨-راجع الكافي ١١٧:١ ح٨ ب(معاني الأسماء ومشتقاتها).

فنرفع أيدينا إلى آذاننا وكأننا نريد إيصال كلمة ما للناس.. ثم نهبطها إلى الأسفل لأن بالفعل كل ما عدا الله هابط وفاني، ولا يستحق الإتباع والتوسل به..-نعم إلا من أمرنا الله باتباعهم والتوسل بهم، فهم طريق مجعول من قبل الله جل وعلا وسيأتي تفصيل ذلك في التشهد إن شاء الله-

ثالثاً/ سورة الفاتحة المباركة:

(بسم الله الرحمن الرحيم)

كلمة السر لاستدرار البركة والنجاح والفلاح.. إنها واحدة من أهم موروثاتنا الدينية، وقد شرحها العلماء في دروس وكتب مطولة..

ولا أستطيع، ولا أريد في هذا المؤلف بالذات، الحديث مفصلاً عنها، ولكن أريد القول إن كل عمل وكل قول وكل خاطرة.. لم تكن لولا أن منّ علينا الله سبحانه وتعالى بالقدرة عليها..

إن كل حركة لنا هي آية من آيات الله، حيث حملت اسماً منه تعالى فبه تقوّمت.. والله يتجلى لخلقه بأسمائه الحسنى.. وبأسماءه يدار الكون وتنتظم سننه..
ثمّ إنه عادةً ما تقوم الشعوب ببدأ أي عمل هام باسم كبير منها.. وغالباً ما يكون وضع حجر الأساس لرجل مرموق لديهم.. كما يعبر سماحة آية الله العظمى الحاج الشيخ ناصر مكارم شيرازي-دام ظله الشريف-[٩]
لكن المؤمن يعلق أمله وثقته ورجاءه وعونه وكل نفس يتنفسه بالله فقط.. بخالق كل شيء..بمالك كل شيء.. ورازق كل شيء.. ورحمن كل مخلوقاته.. ورحيم عباده الصالحين..
إنَّ البدأ باسم الله أرجى لأن تكون الصلاة قريبة من الله..
وكأن المؤمن أيضاً يقول: يارب.. ليس لي القدرة على عبادتك بدون أن توفقني لذلك.. فابسمك أتقرب إليك..

(الحمد لله رب العالمين)

الحمد لله الذي شملنا بالعناية نحن وكل العوالم..

٩-الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل،ج١-تفسير سورة الحمد.

(الرحمن الرحيم)

فهو الرحمن الذي وسعت رحمته الشاملة كل مخلوقاته.. فهي صبغة التدبير وسنن الكون العامة.. وهي الإطار الذي سمح لنا بالنجاح، والتكامل، والتطوير، وإنجاز كل ما نملكه، وفهم كل ما تحتويه بطون كتبنا، وعقول علمائنا جميعاً على كوكب الأرض مؤمنين كانوا أو لا..
الحمدلله على كل ذلك..

ولكن! هنالك رحمة خاصة.. إنها الرحمة التي لم تزل.. ولا تزال.. ولن تزول.. إنها رحمة الله (الرحيم) للمؤمنين المخلصين المتقين خاصة..

(مالك يوم الدين)

صحيح أنه صاحب الرحمة لكل خلقه بما يشمل الكافرين، لكنه (مالك يوم الدين)..
هذه النقطة لا بد أن نتذكرها بعد وصف رحمته.. لكي لا نميل عن الجادة..
لماذا؟

إنَّ الله خالق كل شي، هو راحم كل شيء..
لكنّ رحمته ونعمته ليست بلا هدف وبلا حكمة.. فالذي أعطى الناس مساحة من الحرية في فعلهم وقولهم.. إنما فعل هذا لابتلائهم، وامتحانهم، فيدخل الجنة أو النار من دخل، جزاءًا بما عمل..

ورغم أن مساحة الإبتلاء صغيرة، إذ كل شيء مباح إلا ما استثني[١٠]، ورغم أن الله جعل مذكّرين ومنذرين وأنبياء، وأنزل لنا الكتب الإعجازية، ورزقنا العقل للتدبر والتفكر، وزرع في فطرتنا معرفته وحبه..
إلا أن أكثر الناس سيكفرون، ومن سيدخل الجنة منهم إنما سيدخل بفضل الله وكرمه..

لو تذكرنا هذا دائماً، فإننا سنظل نحقق نجاحاً تلو نجاح..
لأن نعم الله لا تحصى، وعلينا التسابق في الإستفادة منها في الخير، لتحقيق الهدف الإلهي، وهو نجاحنا، هذا أولاً..

١٠-بناءًا على أصالة البراءة فـ«كل شيء لك مباح حتى تعلم أنه حرام» فعادة الشارع المقدس بيان المحرمات وحصرها، بخلافه في المباحات، وعليه فكل مسكوت عنه(حكماً) أو مشكوك فيه (موضوعاً)، الأصل فيه الإباحة لمبحث وأدلة يطول ذكرها، ونظيره في الأمر أصالة الطهارة -بناءا على جريانها في الشبهة الحكمية-.

ثانياً لو تذكرنا هذا دائماً فستتذكر واقعاً مع كل فعل، وكل قول، وكل حركة، أو سكون، أن كل فعل محسوب علينا.. وكذا على الآخرين..
ولذا كان نشر ثقافة المعاد هو الطريق الأفضل لتحقيق السلام في العالم، وأداء الحقوق تجاه النفس، و الأبوين، والعائلة، والناس، والدول المجاورة، والعالم، والحيوانات، والبيئة، وكل شيء باختصار!..

يمكن للدولة أن تضع قوانين وشرطة وكاميرات وعقوبات.. وبالطبع سيلتزم أكثر الناس..
ويمكن لمجموعة من الدول أن تضع مجلساً لتحديد العلاقات والإتفاقات الدولية في استخدام الأسلحة مثلاً، وجعل غرامات على مخالفتها.. وبالطبع ستلتزم أكثر الدول..
ويمكن للعرف أن ينبذ الشخص البخيل والعاق لوالديه.. وبالطبع سيصبح أكثر الناس كرماء ومحسنين لوالديهم..

لكن سرعان ما سيزول هذا الفعل الحسن الحقوقي، بحدوث ثغرة أمنية، أو غياب عن العرف والناس..

فلو انقطعت الكهرباء في إحدى المدن العالمية الكبرى ليلة

واحدة فقط، سيتحول النظام، والحقوق، وإبتسامة موظف الفندق.. إلى سرقة للأموال بواسطة أكياس بحجم إنسان كامل، وعمليات اغتصاب أينما أمكن ذلك ولو كان في الشارع، وجرائم قتل، وحرق، وتخريب، وانتقام من بعض الدوائر الحكومية، أو بعض الشركات، بالتكسير والتخريب ووو...

كما حدث تماماً في مدينة (جمعيات أصدقاء الكلاب وحقوق القطط) «نيويورك» «NewYork» سنة ٧٧م..

تنقلب الموازين رأساً على عقب لغياب الكهرباء ليلة واحدة فقط!!

من هنا نحن اليوم قادرون على نشر السلام والحقوق في العالم باسم الإسلام وما جاء به رسول الله ﷺ.. وأن ندعو العالم إلى تذكر الله عز وجل والإيمان عملياً بوجود هدف لهذا الكون..

الهدف الذي حدثنا عنه الأنبياء منذ بداية تواجدنا على الأض!

حيث صرّح بذلك آدم أبا البشرية ومن ثمّ نوح وإدريس وهود.. ومروراً بإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف.. وانتهاءا بما قاله موسى كليم الله وقائد بني إسرائيل، وعيسى روح الله قطب جميع المسيحيين، ومحمد

رسول الله وحبيبه وصفيه وخيرته ونبي الرحمة وأبا الكوثر..

إذا آمن الناس بهذا الهدف الإلهي (النجاح) لخلق الله العالم، سيؤمنون بـ(يوم الدين)[11] وبذا ستتشكل حالة (التقوى) لديهم. وهي أفضل نظام يمكن الوصول إليه لتطبيق السلام بجميع معانيه، وإقامة الحقوق في العالم..
لأن المتقي يلاحظ مراقبة الله عز وجل له..
اللهُ الذي لا تتعطل كاميراته.. ولا يغفل شرطته أو تنتشر الخيانة بينهم ويتم إرشائهم..
الحي القيوم، السميع البصير الخبير، العليم بذات الصدور..

إن هذه هي الحضارة بعينها التي يحاول البشر تحقيقها منذ سحيق الزمن، والتي ادعى الكثيرون قدرتهم على صنعها بعيداً عن الأنبياء، واكتفاءاً بنظريات فلاسفة الإغريق في اليونان، والفلسفات الشرقية في الهند، وبلاد فارس،والصين واليابان...حيث بدأ الناس يرجعون لهم ليس فقط فيما عليهم الرجوع إليهم فيه، وهي العلوم المادية كالطب والفلك وما أشبه من المجالات التي فتح آفاقها الأنبياء وأوصوا بالبحث فيها، بل أصبحوا المصدر المستقل -المبتدع- والمعتمد لقوانين السياسة والإقتصاد والتفكير..

١١-حيث أنّ الله سيحاسب من قام بالهدف ومن تخلف عنه، وإلا بطل كونه عادلاً، وبذا بطل كونه كمالاً، وبذا بطل كونه إلهاً.

بــل حتــى معرفــة الله!![١٢]

١٢-وهنا ثلاث نقاط سريعة هي خلاصة لبحوث طويلة:

أولاً إن هؤلاء الفلاسفة علماء لكن لعلمهم حدود يجب ألا نعديه عن المادة التي أمر الدين الناس بالبحث والتطوير فيها، وذلك لفقدانهم أداة البحث في عالم الغيب.

ثانياً يحق لكل أحد من البشر، بل يجب عليه شرعاً -ولا يجوز له التقليد في البحث عن الخالق، ولكن قانون البحث يشترط أن « لا يخالف بديهيات العقل» _التي كانت وظيفة الأنبياء تذكيرنا بها، لا لأنهم ذكرونا بها، وكونها من المخبِر صاحب الأدلة الدامغة على النبوة فحسب، بل لكونها من العقليات_ كالحكم بأن لله جسم، فمن له جسم كان مركباً، ومن كان مركباً، كانت أجزاءه سابقة له، فلا يصح كونه (الله) بل (الله) الحقيقي هو خالق أجزاءه وموجده، أو كالحكم بأن الكون أتى بلا موجد وبلاسبب، فهذا مخالف لبديهة العقل أيضاً، حتى وإن قالها أعظم علماء وفلاسفة البشر، فلن يغيَر هذا من حكم العقل شيء.

ثالثاً يحق لكل إنسان التنظير سياسياً واقتصادياً وقانونياً...إلخ، ولكن بما لا يخالف الحدود التي رسمها الأنبياء_لما سبق_، والتي تضمن للبشر النجاح والسعادة، كحد حرمة التجاوز على حق الآخرين في الإقتصاد وأن كل إنسان له رأس ماله ولكن بما لا يفصله عن وجوب المساهمة في المجتمع ويفكه عن كونه حلقة في البلاد تشترك في عملية تطوير موحد.

(إياك نعبد وإياك نستعين)

يارب!.. إياك فقط نعبد حصراً[١٣]، فلا إله لنا سواك كما يحكم عقلنا وتبوح فطرتنا.. وبك فقط حصراً نستعين، وإذا استعنا بك.. فهذا يعني أننا سنقدر على فعل كل ما ننويه بعد إذنك.. فنحن لسنا أشخاصا إتكاليين وذيولاً لآخرين لنستعين بهم دونك.. سبحانك يارب.. خلقتنا أحرارا فهل نقيد رقابنا ونضعها بيد خلقك؟!..

فإذا كنت (رب العالمين) و(الرحمن الرحيم) و(مالك يوم الدين) كيف يعقل أن نعبد غيرك أو نستعين بسواك؟!

هيهات!

بل وجدناك أهلا للعبادة فعبدناك، ياخالق كل شيء..

و وجدناك مالك يوم الدين، فلا أحد دونك له الملك الحقيقي في هذه الدنيا، فبك فقط نستعين..

١٣-والحصر المطلق هنا نتيجة تقديم المفعول -فهو من باب تقديم ما حقه التأخير- وإطلاق العبادة.

يارب!..
(اهدنا الصراط المستقيم)

نحن آمنا باسمك وآياتك التي تدل (تذكر) بك.. فالحمد لك يارب العالمين.. ويارحمن ويا رحيم..

لكي نكون قادرين على تحقيق النجاح الذي خلقتنا من أجله يا (مالك يوم الدين):
(اهدنا الصراط المستقيم)..

نحن لا نقدر على الإهتداء إن لم تهدنا.. إهدنا يارب:

(صراط الذين أنعمت عليهم)

هل لأننا عرفنا أن الله خالق هذا الكون ومدبره وربه الوحيد ، وعلمنا بحسابه في الآخرة، هل بهذا نعد مهديين؟

القرآن يقول: لا.. ولذلك نحن ندعو يارب (اهدنا الصراط المستقيم)(صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضآلين)

فلا بد من ألا يكون الإيمان والدين أفكاراً نظرية مجردة.. بل هناك لهذا الدين قرآن مكتوب وقرآن ناطق في كل فعله، وقوله، وحركته، وسكونه.. في كل شيء هو معجزة! كما أن القرآن المكتوب معجزة!..

ثانياً أن يكون أولئك الذين أنعمت عليهم القادة لنا فهو "صراطهم" (صراط الذين...) و(الذين) لا تستخدم في العربية إلا في جمع المذكر العاقل، فليس الحديث عن مجموعة اعتقادات تسبح في الهواء، ولذا يلزم منا أن نضعهم قادة لنا.. لأنهم الوحيدون الذين يستحقون أن نتأسى بهم ونطيعهم في كل شيء.. إذ هم المعصومون في كل شيء، فليسوا فقط على الصراط، بل هم الصراط والميزان والمعيار.. فهم مع الحق، والحق معهم..

إنهم:

(غير المغضوب عليهم)

الذين يتعمدون الإنحراف، باتباعهم واستسلامهم للأهواء والشهوات.. هم منزهون عن كل ذلك، ولم يثبت لهم التاريخ والواقع ميلاً ولو بسيطاً عن الحق، أو معصية واحدة كسلب نملة جلب شعير! فهم لم ولا ولن يعصوا الله

طرفة عين ليغضب عليهم..أما نحن باقي البشر فكم مرة في اليوم نغضب الله عز وجل؟!
لذا قلت لكم لن ندخل الجنة باستحقاق منا، بل بفضل الله ورحمته وحلمه..
نسأل الله التوبة والعون على تصحيح أخطائنا..

ولا الضالين

الذين لا يعرفون الحق أساسا أو يغيب عنهم أمر ما، فهم في ضلال ولا يعرفون أنهم في ضلال فجهلهم جهل مركب، فمثلا يضحون بأنفسهم وبنية صادقة في طريق الضلال، وهم (...يحسبون أنهم يحسنون صنعا)[١٤].

١٤-الكهف ١٠٤.

رابعاً/ السورة:

ويقصد بهذا الإصطلاح الفقهي السورة التي نتلوها بعد الفاتحة، ولأن من أكثر -أو أكثر- السور التي ورد الحث على تلاوتها في الصلاة سورة الإخلاص، نحاول الشرح والتأمل فيها بما يتناسب والمقام

مبتدئين بـ(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل)

(قل): علينا أن نتذكر دوماً أن نبلغ هذه الحقيقة ونصدح بها[١٥]

١٥-تفسير الأمثل ج٢٠ ص٣٢٦.

(هو):

ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: (...فالهاء تنبيه على معنى ثابت، والواو إشارة إلى الغائب عن الحواس، كما أن قولك هذا إشارة إلى الشاهد عند الحواس)[16]

(الله):

وورد أيضا عنه عليه السلام: (الله معناه المعبود الذي أَلِهَ الخلق عن درك مائيته، والإحاطة بكيفيته، ويقول العرب أَلِه الرجل إذا تحيَّر في الشيء فلم يُحط به علماً وولِه إذا فزِع إلى الشيء مما يحذرُه ويخافُه فالإلهُ هو المستور عن حواس الخلق)[17]

(أحد):

(إنَّ أعرابياً قام يوم الجمل إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال يا

١٦-بحار الأنوار ج٣ ص٢٢١.

١٧-بحار الأنوار ج٣ ص٢٢٢.

أمير المؤمنين أتقول إن الله واحد!، قال: فحمل الناس عليه! قالوا يا أعرابي! أما ترى مافيه أمير المؤمنين من تقسم القلب؟!..

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: دعوه فإن الذي يريده الأعرابي هو الذي نريده من القوم.

ثم قال عليه السلام: يا :أعرابي إن القول في أن الله واحد على أربعة أقسام:
فوجهان منها لا يجوزان على الله عز وجل، ووجهان يثبتان فيه.

فأمَّا اللذان لا يجوزان عليه فقول القائل واحد يقصد به باب الأعداد، فهذا ما لا يجوز، لأن ما لا ثاني له لا يدخل في باب الأعداد.
أما ترى أنه كفر من قال: إنه ثالث ثلاثة وقول القائل هو واحد من الناس، يريد به النوع من الجنس، فهذا ما لا يجوز لأنه تشبيه وجلَّ ربنا عن ذلك وتعالى..

وأما الوجهان اللذان يثبتان فيه فقول القائل هو واحد ليس له في الأشياء شبه كذلك ربنا، وقول القائل إنه عزَّ وجل أحدي المعنى، يعني به أنه لا ينقسم في وجود

ولاعقل ولاوهم كذلك ربنا عزَّ وجل)[١٨]

(الله الصمد)

"إننا حسب معلوماتنا المحدودة عن الجسم نعرف أن كل شيء مركب من ذرات صغيرة،
وأن في هذه الذرات فراغات هائلة، بحيث لو تصورنا طناً من الخشب يقع في مساحة عدة أمتار مربعة، ثم افترضنا أننا أعدمنا الفراغات في ذراتها لأصبحت في حجم صغير لا يقاس مع حجمها السابق، ولكنها سوف تحتفظ بوزنها السابق أي ألف كيلو غرام.
ويدل على ذلك أن المواد الثقيلة كاليورانيوم تحتوي على مثل ذرات الخشب والقطن إلا أن هذه الفراغات تردم، فتثقل المعادن حتى إن ما مقداره عشرين سنتيمتراً مكعباً من اليورانيوم يقدر وزنه بطن، ومحدود أيضا بأنه ليس بنافذ في كل أبعاد الشيء أليس كذلك؟

بينما رب العزة لا يزيد أو ينقص لأنه كامل، ولو افترضنا فيه نقصاً إذاً ما الفرق بينه وبين الكائنات التي خلقها، وإذا

١٨-بحار الأنوار ج٣ ص٢٠٦.

تساوى الخالق والمخلوق فلماذا أساساً نبحث عن خالق؟

أليس إنما هدانا العقل إلى الخالق لما رأينا من النقص والحاجة في المخلوقين، وأظهر مصاديق النقص: التركيب والتأليف، والزيادة والنقصان، فكيف نزعم وجود ذلك أيضاً في الخالق؟...

ونختم حديثنا عن الصمد برواية شريفة عن الإمام علي عليه السلام جمعت الكثير من معاني الصمد، قال:

(تأويل الصمد: لا اسم ولا جسم ولا مِثل ولا شبه ولا صورة ولا تمثال ولا حد ولا حدود ولا موضع ولا مكان ولا كيف ولا أين ولا هنا ولا ثمَّة ولا علا ولا خلاء ولا ملأ ولا قيام ولا قعود ولا سكون ولا حركات ولا ظلماني ولا نوراني ولا روحاني
ولا نفساني ولا يخلو منه موضع ولا يسعه موضع
ولا على لون ولا على خطر قلب ولا على شم رائحة، منفي عنه هذه الأشياء" [19]

١٩-من هدى القرآن ج١٢ ص٤١٦.

(لم يلد ولم يولد)

بل هو غير خلقه تماماً.. فلم يولد كما تتوالد المخلوقات لا كالبشر ولا كأي نوع من أنواع التناسل والتكاثر، ولم يولد باجتماع وتركب مجموعة من الذرات، ولم يلد أحداً لاعيسى ولا غيره، ولم يلد الكون ولم يفضه ولم ينحلّ فيشكله...
إنه فوق المساس والاتصال بأي شيء آخر.. فهو الغني..
وكل شيء مفتقر له.. سبحانه عما يصفون..
لأنه خالق ومبتدع كل شيء من لاشيء إذ لاشيء..

(ولم يكن له كفوا أحد)

فقد (تنزه عن مجانسة مخلوقاته، وجلَّ عن ملائمة كيفياته)[٢٠] ونعوذ بالله من أن يفكر الإنسان الضعيف الحقير، بعصيان أو بالشرك بربه العزيز المتعال خالق الكون العظيم والفضاء الرحيب المهيب والشموس الملتهبة.. من يخالف هذا الرب ليس فقط حرم نفسه النور والنعمة والنجاح ،

٢٠-دعاء الصباح لمولى الموحدين، إمام المتقين، الإمام علي C.

فقد وقع في مشكلة كبيرة، مع رب ليس له حد ولا لقدرته مثيل، وليس له قرابة مع أحد فـ(لم يلد ولم يولد)(ولم يكن له كفوا أحد)..

قل هو الله أحد أي (قل هو الله أحد بلا تأويل عدد، الصمد بلا تبعيض بدد، لم يلد فيكون موروثاً هالكاً، ولم يولد فيكون إلهاً مشاركاً، ولم يكن له من خلقه كفواً أحد) كما قالها الإمام علي بن أبي طالب أرواحنا فداه..

إن علينا كمؤمنين تذكر هذه المعاني قدر الإمكان بالتمرين وجهاد النفس، كلما وقفنا بين يدي بارئنا..
من يؤمن بالله الذي صفاته أكمل الصفات، هذا الإنسان لا يمكن أن يرضخ لنفسه وأهواءه وشهواته، وكسله، وغضبه، وضجره ووو.. فيكون فاشلاً..
ولا يمكن أن يجعل الشيطان مرشداً، ولا يمكن أن يرضخ لأي أحد يجعل نفسه قائدا فوقه بالباطل، وبهذا إن صلُح الفرد، وصلح القادة - حيث أن الناس لن يتبعوا بعد هذه المعرفة الطاغوت بل سيتبعون أهل البيت ووكلائهم الموحدين بالله حقاً- ..
النتيجة هي أن يعم السلام، والرفاه الإقتصادي، والإستقرار الروحي في القلوب، فستكون أخلاق الإسلام وأحكامه السامية هي السراج لهداية الأمة واستعدادها حضارياً،

ونفسياً، لأن تصل لمستوى يؤهلها لأن يقودها الحجة المهدي المنتظر - أرواحنا فداه-..
حيث تحكم الأخلاق قبل القوانين.. وتبعث على الخيرات الدوافع الداخلية قبل الأوامر الخارجية.. حيث يهم الإنسان أمر الآخر أكثر من همه لمصلحة نفسه.. حيث تحلق الأرواح وتعيش في محبة وسلام وحضارة وسعادة..

خامساً/ الركوع:

في إحدى الأيام جاء رجل إلى أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وسأل : لماذا نركع في الصلاة ونمد عنقنا بهذه الطريقة؟ فقال (عليه السلام): (تأويله: آمنتُ بالله [بوحدانيتك] ولو ضُربت عنقي)[21]

وأما معنى ذكر الركوع، (سبحان ربي العظيم وبحمده):

٢١-من لا يحضره الفقيه ٢٢٠/١، (باب وصف الصلاة من فاتحتها إلى خاتمتها)، ح٩٢٧.

(سبحان)

سبحان الله أي منزه الله.. فالمؤمنون عندما يرون شيئا يتعجبون منه ويقولون (سبحان الله!) فهم يقولون: هذا الأمر الدنيوي عجيب! أو عظيم جدا!، لكن الله منزه عن هذا الأمر الذي أعجَبُ منه.. إنه عزّ وجل فوق كل ما نرى ونسمع، أو نحس ونشعر..
حيث أنّ الله أجل من أن يقاس بشيء مهما بلغ تعجبنا منه..

وأيضاً نحن الذين نركع لله عز وجل لا نساوي شيئاً أمام الله، مهما بلغنا من القوة أو العظمة أو الجاه.. وإنما "العزة لله جميعا" والعظمة له وحده، سبحانه..

إنَّ كلام الله، وحججه علينا، هما فقط الثقلان اللذان علينا إتباعهما، لأن الله أمرنا بذلك، وغير هذا سواء كان هوى النفس، أو اتباع الطاغوت، أوشياطين الإنس والجن، فهو باطل.. ويؤدي إلى الفشل..

وهذه كانت مشكلة البشر منذ التاريخ السحيق في زمن الأنبياء وإلى اليوم فدائما توجد جبهتان

جبهة الشجاعة، والجبن.. وجبهة النشاط، والكسل.. وجبهة التعمير، والهدم.. وجبهة الكرم، والبخل.. وجبهة تنظيم الوقت، والفوضى...
أي جبهة العقل، وجبهة وساوس الشيطان..
وهكذا على مستوى القيادة والأسوة والإتباع والجماعة، هنالك جبهة قابيل وجبهة هابيل.. وجبهة موسى وجبهة فرعون.. وجبهة الإمام الحسين عليه السلام وجبهة يزيد..

وباختصار هنالك جبهة للحق، وأخرى للباطل ولكل منها جنود..

(ربي)

فالذكر يقول (سبحان ربي العظيم وبحمده)، وليس سبحان الرب أو الله العظيم وبحمده)مثلا..

لأن المصلي عليه أن يستشعر ويتذكر أن الله اللطيف الخبير، هو الذي رباه، وكبّره، وتعاهده من عالم الذر، وعالم الأرحام، إلى بين يدي أمه سالماً صحيحاً..
على المصلي أن يتذكر أيضاً الصعوبات الكثيرة التي مرَّ بها وأعانه الله على تجاوزها..

نحن ننسى لكنها فوق أن نحصيها!
كم مرة مررت بصعوبة وأحسست بأن الدنيا انتهت، إلا أنك اليوم تبتسم وتعيش حياتك بشكل طبيعي وكأن شيئاً لم يكن؟!

ناهيك عن المشكلات التي حُلّت من حيث لا تحتسب، وناهيك الضرر الذي كان مقدراً أن يقع فأنجاك الله منه..[٢٢]

في ذلك اليوم جلست في الحافلة متسمراً.. أفكر هل كانت بالفعل ستنتهي حياتي بهذه البساطة؟!
دعني أقص لك ما حدث..
خرجت كعادتي كل صباح، بعد تناول الإفطار في سكن حوزتنا في قم المقدسة، قاطعاً شارع(خيابان) معلم لكي أدخل الفرع (كوچه) الذي قد تبارك بسكن الإمام الخميني - قدس سره -
- والتي اعتاد أن يسميها القميون بلهجتهم الدارجة بـ(كوچه خونه إمام).
هناك في الحي العلمائي من قم المقدسة حيث في مقربة من هذه (الكوچه) يوجد مكتب السيد السيستاني -دام ظله-

٢٢-(اللهم مولاي كم من قبيح سترته، وكم من فادح من البلاء أقلته، وكم من عثار وقيته، وكم من مكروه دفعته، وكم من ثناء جميل لست أهلا له نشرته) دعاء كميل بن زياد عن أمير المؤمنين ع.

الشريف- ومكتب الشيخ التبريزي -قدس سره
- ومكتب السيد المدرسي -دام ظله الشريف- وبعض المدارس والحوزات الدينية الأخرى..

والتي من جملتها ما كان مقصدي ألا وهو درس كتاب المنطق للمرحوم المظفر -قدس سره-

إلا أنه ولعلة تغيير مكان الدرس، قامت الحوزة بتوفير حافلات لنقل الطلبة ..
فكانت وجهتي أن أشق هذه (الكوچه) للوصول إلى مواقف (باركينگ) الحرم، وفي منتصف الطريق كانت الأجواء هادئة جداً، وأظن أنني كنت حينها أفكر في إحدى مسائل النحو، وفجأة! رأيت جداراً كاملا بطول ثلاثة أمتار ونصف تقريبا وعرضٍ مشابه، يسقط عليّ!

لا أدري ماذا حدث بالتحديد وكيف استطعت أن أنتقل في غمضة عين إلى الطرف الآخر ولم أصب حتى بغبار سقوط ذلك الجدار!
إنّ هذا من لطف عالمة آل محمد فاطمة المعصومة التي هي إحدى وسائطنا إلى الله، وإحدى وسائلنا كما تعبر الآية المباركة..

وقد كان لي الكثير من القصص والمواقف المشابهة ودونت بعضها ونسيت البعض الآخر..

نحن البشر عادة ننسى وننشغل طوال اليوم بالشؤون المختلفة النافعة أو الضارة لاسمح الله.. لذلك كان علينا أن نخلص ركوعنا لله ونتذكر هذه الحقيقة، لكي نعبد الله حقاً ولانغتر، ولكي تستقر الطمأنينة في قلوبنا بأن هنالك (رباً) لنا سيربينا..

نحن لدينا القدرات الذهنية والعقلية، لكنَّ التحصيل(الإيجاد) والتوفيق(الإبقاء) للإستفادة منها لا يكون إلا بالله وبإذنه..
ولذا كان (الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، والثناء بما قدّم)[٢٣]
وتفصيل ذلك بالترتيب العكسي -الذي يربط ذهنية المستمع بآخر ما يتذكره وما قيل-:
(من عموم نعم ابتدأها، وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن أولاها)[٢٤]
كما قالت سيدة نساء العالمين فاطمة روح رسول الله وأعظم خلقه .

٢٣-الخطبة الفدكية.
٢٤-الخطبة الفدكية.

(العظيم)

من هنا نفهم المناسبة بين قولنا العظيم وبين معنى الركوع، ففي الركوع يُحلِّقُ المصلي ويؤمن بالله ويخضع له قولاً وعملاً، ويستشعر عظمته عزَّ وجل ولذا يقول (العظيم)..

ويارب أنى لنا أن نعرف حق عظمتك؟!.. نحن لم نستطع أن نحط علماً بعظمة نملة تدب على الأرض، أو مجرة تسبح في الفضاء.. فكيف بعظمتك يارب!..

(وبحمده)

إلهي!.. أنا أسبحك ياربي العظيم، ولكن ليس من قدرة من نفسي، بل أنت وفقتني لذلك ووهبتني الإستطاعة على أن أركع لك وأسبّح لك في انسجام مع تسبيح الأرض من تحتي والسماء من فوقي، والأشجار والطيور من حولي.. فلك الحمد يارب.. وإنَّ تنزيهي وذكر أنك ربي الذي رباني ويربيني ويرعاني دائما فلا أختنق بلعابي ولا أغص بلقمتي،وذكر عظمتك.. هو حمدٌ لك وثناءٌ عليك، لكنَّ

حمدي وشكري لك، هو الآخر يستوجب حمداً وشكراً، فأنت من رزقتنيه و وفقتني إليه... فسبحانك ياربي العظيم (وبحمدك)..

سادساً/ القيام من الركوع:

فبعد الركوع نقف مجدداً وهذا الوقوف اعتبره بعض الفقهاء من أجزاء الركوع، فلو ترك ذلك عامداً فالإحتياط إعادة الصلاة، عملاً بالرأي المشهور بينهم، فالوقوف بعد الركوع له أهداف عديدة وعظيمة يطول التأمل فيها[٢٥]، إلا أنه لعل أحد أهدافها أن يعلم الإنسان أن من يذل نفسه لله، سيرفعه الله، وسينجح ويفلح..

فالمصلي تصل له هذه الرسالة عبر هذا الفعل من حيث لا يشعر..
ولعل أحد أهدافه أيضاً هو زيادة الجهد للوصول إلى

٢٥-فوجوبه دلالة على أهميته، وذلك بناءًا على تمامية كبرى كون ثواب الواجب أعظم من ثواب المستحب. وقد يستدل عليه أيضاً بالـ(الحكمة) في التشريع الإلهي، بناءًا على بعث المولى وتعلق إرادته الأكيدة بالـ(الأصلح).وبهذا تكون تراتبية التكليف وجوباً واستحباباً، خاضعة للشدة والضعف صلاحيةً.والله العالم.

السجود، الذي سيعد المحور النوري في الصلاة.. وغيرها مما يمكن التأمل فيه..

أما الذكر المستحب بعد الركوع وحين القيام،فهو:

(سمع الله لمن حمده)..

إنها حالة من الإيجابية والتفاؤل أن يعتقد المصلي بأن الله سمع كلامه ومديحه.. لأن الله (سمع لمن حمده) فهكذا الظن به، وهو عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِهِ إِنْ خَيْراً فَخَيْراً وَ إِنْ شَرّاً فَشَرّا[٢٦].. سبحانه ما أكرمه..

سابعاً/ السجود:

وهو "منتهى العبادة" كما يخبر عن ذلك إمامنا الصادق (عليه السلام)[٢٧] حيث أنه من كمال ما يمكن أن نفعله نحن البشر تعبيراً عن عبادتنا وطاعتنا لربنا الأعلى المنزه عن كل

٢٦-الكافي الشريف (ط-الإسلامية) ج٨ ص٣٠٢.

٢٧-راجع من لا يحضره الفقيه ٢٢١/١-٢٢٢ (باب وصف الصلاة من فاتحتها إلى خاتمتها)، ح٩٢٩.

نقص، (وبحمده)[٢٨]..

ولذا كان السجود وأثره علامة للشيعي.. فذات يوم كان الإمام علي بن الحسين سيد الساجدين وزين العابدين عليه السلام، قاعداً بخشوع في بيته مشغولاً، إذ قرع قوم عليه الباب..
فقال: ياجارية، انظري من في الباب؟
فقالوا: قوم من شيعتك..
فوثب الإمام بعجلة وهو الوقور، حتى كاد أن يقع، فلما فتح الباب ونظر إليهم رجع..
وقال: كذبوا!!
فأين السمت في الوجوه؟!
أين أثر العبادة؟!
أين سيماء السجود؟!
إنما شيعتنا يعرفون بعبادتهم وشعثهم، قد قرّحت العبادة منهم الآناف، ودثّرتِ الجباه والمساجد)[٢٩]

نعم إنها اللحظات الثمينة التي لو علم المصلي ما يغشاه من رحمة الله حينها ما رفع رأسه..

٢٨-وبهذا ندع شرح الذكر (سبحان ربي الأعلى وبحمده) لتشابهه الغالب مع ذكر الركوع، ونكتفي بما ذكر عن الأعلى.

٢٩- مستدرك الوسائل ٤٦٨/٤، ب١٧، ح٦.

التي يتذكر فيها المصلي مبدأه من هذا التراب.. وأنه لم يكن شيئاً مذكوراً.. فخلقه الله وابتدعه لهدف وحكمة[٣٠].. وعليه اليوم أن يحقق ذلك الهدف فيصنع الحضارة ويحقق النجاح والسلام والسعادة..

ثانياً : قول (اللهم صل على محمد وآل محمد) بعد ذكر الركوع والسجود..

فماذا يعني أن نقول (اللهم صل على محمد وآل محمد)؟!

ولماذا كان الإستحباب بعد ذكر الركوع وذكر السجود؟!

إن لمعنى الصلاة على محمد وآل محمد تفسيرات متعددة، منها ما ذكره العلامة أبي هلال العسكري من أن الصلاة من الله عزَّ وجل الرحمة، ومن الملائكة الاستغفار ومن الآدميين الدعاء[٣١]

فنحن عندما نقول (اللهم صل على محمد وآل محمد) فنحن نقول (اللهم ارحم محمد وآل محمد)

٣٠-﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً * إنّا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجلعناه سميعاً بصيراً﴾

٣١-راجع الفروق اللغوية ١٠٤.

ولكن!
أوليس الله عزَّوجل قد رحم أهل البيت (عليهم السلام) ؟!

نعم، هذا صحيح، ولكن هل لرحمة الله حدود؟!

ثمّ لماذا لا نطلب الرحمة لأنفسنا فنقول: (الله صل علينا كما صليت على محمد وآل محمد)؟!

الجواب: هو لكوننا تعلمنا الصيغة الصحيحة للصلاة من أهل البيت عليهم السلام أنفسهم، وذلك لكون صلاتنا عليهم سبب لحصولنا على الرحمة من الله، كما ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (...وبالصلاة تنالون الرحمة، فأكثروا من الصلاة على نبيكم وآله، إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما)[٣٢]

فلو دعونا لأنفسنا بالرحمة قد لا نحصل على ذلك، فنحن لا نستحقها.. لكن لو دعونا لأهل البيت (عليهم السلام) بذلك فحتماً وبلا شك لن يرد الله دعائنا..وبهذا (سيكون لك مثله).. ولهذا استحب لنا أن نقول قبل كل دعاء: (اللهم صل على محمد وآل محمد)..
فكما قال الإمام الصادق عليه السلام:

٣٢-بحار الأنوار ٤٨/٩١.

«لَا يَزَالُ الدُّعَاءُ مَحْجُوباً حَتّى يُصَلّى عَلى مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ»[٣٣].
حيث (إِنَّ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) مَقْبُولَةٌ، وَ لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَقْبَلَ بَعْضَ الدُّعَاءِ وَ يَرُدَّ بَعْضا)[٣٤]

أما لماذا نذكر أهل البيت (عليهم السلام) بعد تنزيهنا وتعظيمنا لله جل وعلا؟

فذلك أحد أهم أسبابه كون الإيمان بالله وتوحيده فقط غير كاف.. فلابد من وجود آدم نسجد له!..

حيث أن حاكمية الله لا تتم إلا عبر وجود خليفة له في الأرض..
وهذا ما يتفق عليه الشيعة، ويعبر عنه بشكل رائع الأستاذ العلامة الشيخ معتصم سيد أحمد في كتابه فلسفة التكامل، بقوله حفظه الله:

(...حقيقة الإنسان هي العبودية والمحكومية، بوصفه كائنا مخلوقاً مربوباً، لا يملك سيادة حتى على نفسه، وأن الله هو المالك والحاكم بوصفه خالقاً ومدبراً لأمر الكون،
نتسائل كيف يمكن أن تكون حاكمية الله على الإنسان،

٣٣-الكافي الشريف ج٤ ص٣٤٨.
٣٤-أمالي الطوسي ص١٧٢.

وهـو مخلـوق ذو طابـع اختيـاري؟

لا يجـوز لنـا الاعتقـاد بـأن الله هـو الـذي يتنـزل إلى واقع الإنسـان ليجـري حكمـه وسـلطانه بحيـث يبـاشر البـشر ويخالطهـم، فالله أعـز وأجـل وأكـرم مـن أن تحيطـه العقـول، أو تدركـه الأوهـام، فهـو لا يؤيّـن، ولا يكيّـف، ولا يشـار إليـه، ولا يُحـد...، كما لا يجوز لنا الاعتقاد، بأن البشر هم الذين

يرتفعون إلى مقام مخاطبة الله والتحاكم لديه.
ولا يكـون هنـاك خيـار لسـيادة الله عـلى البـشر، وحكومتـه في الأرض، إلا عـبر وسـيط، يمثّـل حكـم الله وإرادتـه.
وبذلـك تنكشـف لنـا فلسـفة الرسـول والرسـالة، بوصفهـا حقيقـة مرتبطـة بحقيقـة التوحيـد، ومصداقـاً عمليـا لولايـة الله وسـلطانه عـلى الخلـق)[٣٥]

إذن لهـذا نحـن نقـول (سـبحان ربي الأعـلى أو العظيـم وبحمـده) ثـم نقـول (اللهـم صـل عـلى محمـد وآل محمـد).

٣٥-راجع فلسفة التكامل ص١٠٤.

ثامناً/الجلوس بين السجدتين والذكر المستحب (أستغفر اللّه ربي وأتوب إليه):

المصلي يسجد
ثم يجلس،
ثم يسجد،
ثم يجلس..

وهذا تلخيص لقصة الحياة!!..

لقد جاء رجل لأمير المؤمنين (عليه السلام): فقال: مامعنى السجدة الأولى؟
فقال: (تأويلها: اللهم منها خلقتنا، يعني من الأرض، وتأويل رفع رأسك: ومنها أخرجتنا، والسجدة الثانية: وإليها تعيدنا، ورفع رأسك: ومنها تخرجنا تارة أخرى)[٣٦]

أمّا في معنى (*أستغفر الله ربي وأتوب إليه*).

٣٦-راجع ملا يحضره الفقيه ٢٢٢/١ (باب وصف الصلاة من فاتحتها إلى خاتمتها) ح٩٣٠.

فالمصلي يستغفر الله ربه، وليست العبارة (أستغفر ربي)، بل (أستغفر الله ربي)، لأنَّ إستحضار قبح الذنب يحصل إن استحضر الإنسان عظمة من عصاه.[٣٧]

وفوق ذلك باستحضار أنه ليس فقط عصى الله الكبير المتعال، وخالق كل شيء والمهيمن على كل شيء، والجبار، ووو...–حيث أن كلمة (الله) تحوي كل صفات الله عز وجل وكمالاته الإلهية[٣٨] –..

بل هو أيضا قد عصى ربه (أستغفر الله ربي...) الذي أنعم عليه وتفضل..
كم هي من مصيبة.. أن يعصي الإنسان (الله) (ربه)؟! وما هو الفشل الذي سيقع فيه؟!

ولذا ما كان من يوسف الصدّيق عندما دعته زليخا إلى الفاحشة، إلا أن يقول وهو المعصوم في كل عبارة يتلفظ بها: ﴿...معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون﴾[٣٩]
كما نقل لنا ذلك القرآن الكريم في سورته.

٣٧-وكما ورد عن رسول الله (ص): يَا أَبَا ذَرٍّ، لَا تَنْظُرْ إِلَى صِغَرِ الْخَطِيئَةِ وَ لَكِنِ انْظُرْ إِلَى مَنْ عَصَيْتَ.
٣٨-راجع الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ص٢٥.
٣٩-يوسف ٢٣.

(*وأتوب إليه*) إذ استحضرت ما سبق تأهلت للوصول إلى طَرقِ باب التوبة الذي فتحه الله عز وجل على مصراعيه.. وللتوبة طرق عديدة، وقد يكون هنالك شروط مخصوصة أحياناً، تبحث في مظانها..

تاسعاً/ التشهد:

وهو الجلوس بالطريقة المذكورة في الكتب الفقهية بين يدي الله سبحانه وتعالى بخشوع، وقول ذكر التشهد.[٤٠]

ولعل أحد أشهر صيغ التشهد هو:
(بسم الله وبالله، والحمدلله، أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صل على محمد وآل محمد، وتقبل شفاعته في أمته، وارفع درجته)[٤١]

٤٠- الذي يكفي أن يكون الشهادتان والصلاة على النبي وآله -راجع المرجع المدرسي - الفقه الإسلامي ج١ أحكام العبادات ص٢٥٤.

٤١-تهذيب الأحكام ٩٢/٢، (باب كيفية الصلاة وصفتها، وشرح الإحدى وخمسين ركعة، وترتيبها، والقراءة فيها، والتسبيح في ركوعها وسجودها، والقنوت فيها،

أولاً/ (بسم الله وبالله)..

إنه الشعار المستحب قوله، والذي يلخص نظام الخلقة!..
فمبدأ كل شيء.. وكل عمل.. وكل نفس.. (بسم الله)...
وبقاؤه (بالله)[٤٢]
فليس الكون كالساعة يصنعها الصانع فتظل تعمل أوتوماتيكياً حتى لو مات صانعها.. بل إن كل خطوة.. وكل خاطرة.. وكل نفس.. وكل طرفة عين.. هي بإيجاد مسبق من الله وإبقاء وتوفيق حالي منه عز وجل..

فنحن لا نملك شيئا إلا بالله وبإذنه.. ليبلونا أينا أحسن عملاً[٤٣]..

ثانياً/ (والحمد لله)..

الحمد لله الذي خلقنا وأعطانا القدرة على عبادته وحمده..

والمفروض من ذلك والمستحب) ح١١٢.

٤٢-وباصطلاح المتكلمين: الله هو العلة المُحدثة المُوجدة، وهو العلة المبقِية المديمة، والعلة المحدِثة هي العلة المبقِية، ولا نتصور الانفصال بين العلتين.

٤٣-الَّذي خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَياةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَ هُوَ الْعَزيزُ الْغَفُور) الملك٢.

ثالثاً/ (وخير الأسماء لله)

إنَّ أسماء الله هي سننه في الكون..
فالرحمة قانون في الخلق..والجبروت الإلهي قانون أيضا..
والحميد والفاطر والعالي والمحسن وقديم الإحسان...كلها كذلك أيضاً..
حيث أنَّ كل أسماء الله تتجلى في خلقه.. وبها تستقيم الحياة، وعليها بنيت السماء، ودحيت الأرض، وأنير القمر، و دار الفلك وجرى البحر، وسرى الفلك...
في بحث له أهمية عظمى وله تفصيل عميق، حاولنا الإهتداء له في كتابنا (دروس في العقائد الإسلامية الإستدلالية)

رابعاً/ (أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صل على محمد وآل محمد)

إنَّ الله عز وجل الذي منه مبدأ كل شيء وبقاؤه.. هو من يستحق الحمد.. لأنه أنعم علينا بخير أسماءه[٤٤]
ولذا فأنا (أشهد أن لا إله إلا الله).. فلا أحد نتوسل به

٤٤-أنعَم علينا بكتابه التكويني، وكتابه التشريعي، وكتابه الناطق.

ونلجأ إليه، ونتذلل له، ونعبده،غيرك يا الله، يا من تمتنع من الأبصار رؤيتك، ومن الألسن صفتك، ومن الأوهام كيفيتك..

ولذا -لصفاتك- كان لا إله إلا أنت، وحدك لا شريك لك..

فلم نرى غير صفاتك وأسماءك تحكم هذا الكون[٤٥].. ولو كانت غير أسماء الله تدير، أوحتى تشارك في إدارة الخلق لفسدت السماوات والأرض..﴿لو كان فيهما ءالهة إلا الله

٤٥-عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ فِي حَدِيثِ الزِّنْدِيقِ الَّذِي أَتَى أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع وَ كَانَ مِنْ قَوْلِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع لَا يَخْلُو قَوْلُكَ «٥» إِنَّهُمَا اثْنَانِ مِنْ أَنْ يَكُونَا قَدِيمَيْنِ قَوِيَّيْنِ أَوْ يَكُونَا ضَعِيفَيْنِ أَوْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا قَوِيّاً وَ الْآخَرُ ضَعِيفاً فَإِنْ كَانَا قَوِيَّيْنِ فَلِمَ لَا يَدْفَعُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ وَ يَتَفَرَّدُ بِالتَّدْبِيرِ وَ إِنْ زَعَمْتَ أَنَّ أَحَدَهُمَا قَوِيٌّ وَ الْآخَرَ ضَعِيفٌ ثَبَتَ أَنَّهُ وَاحِدٌ كَمَا نَقُولُ لِلْعَجْزِ الظَّاهِرِ فِي الثَّانِي فَإِنْ قُلْتَ إِنَّهُمَا اثْنَانِ لَمْ يَخْلُ مِنْ أَنْ يَكُونَا مُتَّفِقَيْنِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ «١» أَوْ مُفْتَرِقَيْنِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ فَلَمَّا رَأَيْنَا الْخَلْقَ مُنْتَظِماً وَ الْفَلَكَ جَارِياً وَ التَّدْبِيرَ وَاحِداً وَ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ دَلَّ صِحَّةُ الْأَمْرِ وَ التَّدْبِيرِ وَ ائْتِلَافُ الْأَمْرِ عَلَى أَنَّ الْمُدَبِّرَ وَاحِدٌ ثُمَّ يَلْزَمُكَ إِنِ ادَّعَيْتَ اثْنَيْنِ فُرْجَةٌ مَا بَيْنَهُمَا حَتَّى يَكُونَا اثْنَيْنِ فَصَارَتِ الْفُرْجَةُ ثَالِثاً بَيْنَهُمَا قَدِيماً مَعَهُمَا فَيَلْزَمُكَ ثَلَاثَةٌ فَإِنِ ادَّعَيْتَ ثَلَاثَةً لَزِمَكَ مَا قُلْتَ فِي الِاثْنَيْنِ حَتَّى تَكُونَ بَيْنَهُمْ فُرْجَةٌ فَيَكُونُوا خَمْسَةً ثُمَّ يَتَنَاهَى فِي الْعَدَدِ إِلَى مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ فِي الْكَثْرَةِ قَالَ هِشَامٌ فَكَانَ مِنْ سُؤَالِ الزِّنْدِيقِ أَنْ قَالَ فَمَا الدَّلِيلُ عَلَيْهِ «٢» فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع وُجُودُ الْأَفَاعِيلِ دَلَّتْ عَلَى أَنَّ صَانِعاً صَنَعَهَا أَ لَا تَرَى أَنَّكَ إِذَا نَظَرْتَ إِلَى بِنَاءٍ مُشَيَّدٍ مَبْنِيٍّ عَلِمْتَ أَنَّ لَهُ بَانِياً وَ إِنْ كُنْتَ لَمْ تَرَ الْبَانِيَ وَ لَمْ تُشَاهِدْهُ قَالَ فَمَا هُوَ «٣» قَالَ شَيْءٌ بِخِلَافِ الْأَشْيَاءِ ارْجِعْ بِقَوْلِي إِلَى إِثْبَاتِ مَعْنًى وَ أَنَّهُ شَيْءٌ بِحَقِيقَةِ الشَّيْئِيَّةِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا جِسْمٌ وَ لَا صُورَةٌ وَ لَا يُحَسُّ وَ لَا يُجَسُّ وَ لَا يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ الْخَمْسِ لَا تُدْرِكُهُ الْأَوْهَامُ وَ لَا تَنْقُصُهُ الدُّهُورُ وَ لَا تُغَيِّرُهُ الْأَزْمَانُ.

لفسدتا﴾[٤٦]

إنك الله الحكيم، المبدأ لخلقنا والحي القيوم علينا..
أقمت لنا رسولاً وهو محمد ﷺ الذي بشرتنا به دائما منذ عصور النبيين والأوصياء..
فتمام حكمتك تقتضي وتقول أن لا بد من مجيء تمام تشريعك، على يد تمام عابد لك، وكمال خلقك.. وهو النبي الأعظم محمد ﷺ..

فيا رب إن عقولنا وفطرتنا ونصوصنا السماوية تقودنا جميعاً مسلمين خاضعين أمام نبيك الأعظم، الخاتم لما سابق والفاتح لما استقبل، والمهيمن على ذلك كله.. فلا نملك غير أن نقول بألسنتنا الحقيرة: (*وأشهد أن محمداً عبده ورسوله*)..

ولما كان العقل، ونظام الخلقة، وجميع تشاريع الله السماوية، تقتضي وجود خلفاء لنبينا الأكرم محمد (أرواحنا فداه) كان لا بد ولا ريب ولا محيص من إتباعهم..
يارب.. يا خالقي ورازقي.. لك الحمد يا إلهي الأوحد..
لك المن ياحبيب قلب محمد.. ارحم محمد وآل محمد
(*اللهم صل على محمد وآل محمد*)..
انتهى التشهد.

٤٦-الأنبياء٢٢.

عاشراً/ الذكر المستحب حال القيام: (بحول اللّه وقوته أقوم وأقعد)

يـارب!.. ليـس لي القـدرة عـلى النهـوض والقعـود مـن غـير حولـك وقوتـك.. فبإرادتـك أنـا أقـوم وأقعـد..
وهنا أتذكر أن "لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين"[٤٧]..

إنَّ مجـرد قدرتنـا عـلى القيـام والجلـوس هـي معجـزة حقيقيـة تحـدث أمامـك في كل صـلاة!!..
إن هـذه القـدرة لجسـد مـن الـتراب والمـاء وبعـض الشـحم والعظـام... عـلى النهـوض والجلـوس هـي معجـزة بحـق!..
وتكفـي آيـة إلى الله..
كنـت أشرح هـذا في محـاضرة لمجموعـة مـن الأطفـال قائـلاً: إنَّ كل مـا لدينـا يـا أحبائـي مـن الله، فلـو شـاء الله لأصبحنـا كالشـجرة التـي لاتسـتطيع التلويـح بغصنها..بينـما نحـن قـد أعطانـا الله عـزّ وجـل القـدرة عـلى تحريـك أيدينـا كيفـما نشـاء.. فتفاجـأت بمـدى الأثـر الـذي بـان عـلى محياهـم مـن هـذه الكلـمات..

٤٧-التوحيد للصدوق ص٢٠٦.

إنّ هـذه المعرفـة الفطريـة النقيـة التـي يلتفـت إليهـا أطفالنـا، علينـا نحـن أولاً -أعاننـا الله- الإعتقـاد بهـا حقيقـةً..

فالحمـدلله عـلى مـا وهبنـا.. فمنـه الحـول والقـوة، وليـس مـن أنفسـنا لنجعلهـا محـور الحيـاة، وليـس لآباءنـا.. وليـس للحاكـم.. وليـس لأحـد...
إنَّ مـن يملـك الحـول والقـوة هـو الله فقـط ومـن ارتضـاه الله خليفـة لـه في الأرض.. وإذا أراد الله فإنـه يتفضـل عـلى عبـاده بإعطائهـم القـدرة عـلى الحريـة والحركـة والفعـل والـترك.. ولهـذا يجـزون الثـواب إن عملـوا خـيراً.. والعقـاب إن أسـاؤوا لأنفسـهم وللآخريـن، ولله!!..

إننـا إن تذكرنـا دائـماً أن «مـا بنـا مـن نعمـة فمنـه لا إلـه إلا هو»، لـن يدخـل الكـبر قلوبنـا أبـداً.. ومـن لا يدخـل الكـبر قلبـه، يكـون في تطـور وإبـداع دائـم، وتحقيـقٍ لنجـاح تلـو نجـاح.. لأن المتواضـع دائـماً مـا يستشـعر النقـص والحاجـة للتعلـم والتزكيـة..
وبهـذا لا تكـون عاقبتـه غـير النجـاح في الدنيـا والفـلاح في الآخـرة.. ومـن هنـا كان (لا يدخـل الجنـة مـن في قلبـة مثقـال ذرة مـن كـبر)[٤٨]..

٤٨- الإمام الصادق ع، الكافي الشريف ج٢ ص٣١٠.

الحادي عشر وقبل الأخير/ التسبيحات الأربع:

ذكر الركعة الثالثة أو الثالثة والرابعة عوضاً عن الفاتحة، حيث يتخير المصلي بينها وبين هذه التسبيحات: (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر)
وهي عند البعض واجبة مرة واحدة وعند البعض ثلاثا احتياطاً وجوبيا وعند البعض...

ولأننا قد أخذنا -شيئا من- معاني هذه الأذكار العظيمة، منفصلة، أجد عدم البحث فيها مجدداً -ولو من زوايا أخرى- مناسباً لهذا المؤلف المختصر..

ولذا يبقى أن نسأل أسئلة أخرى،ومنها:
لماذا جاءت هذه الأذكار بهذا الترتيب (سبحان الله، والحمدلله، ولا إله إلا الله، والله أكبر)؟!
وليس مثلاً: (سبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، والحمدلله)؟!

الجواب:

لأن هنالك دعامتان يرتكز عليهما السقف..
الدعامة الأولى هي تنيزه الله وتسبيحه، والدعامة الثانية هي تكبير الله عن الوصف والوهم وكل محاولة لإدراك ذاته..

وأما البناء الذي يقوم على هاتين الدعامتين فهو الحمد والتهليل..
فلو كان الله ليس منزهاً عن كل صفات الخلق لم يستحق حمداً بهذا الشكل.. لأنه مخلوق، والفضل لا يعود له، بل هو واسطة ليس إلا، وعلينا البحث عن خالقه لحمده!، وإن كان خالقه له صفات المخلوق، فهو ليس الإله، وحينها ينبغي حمد خالقه، وإن كان هذا الإله الآخر له صفات الخلقة فهذا يعني كونه مخلوق أيضاً، وحينها علينا البحث عن خالقه هو الآخر، فإن كان خالقه له صفات الخلقة فهذا يعني كونه مخلوقاً وله خالق...وهكذا
أما علة بطلان كون الإله مخلوقاً، فلتنافيه مع القدرة المطلقة، والغنى المطلق... فهو ليس إلا فقير محتاج لمن يوجده، ثم إنه يبطل بهذا كونه واحداً، فيبطل النصف الثاني من سقف التسبيحات الأربع وهي كونه (لا إله إلا هو)..
فـ(سبحان الله، والحمدلله)..

ثانياً إنَّ الذكر هو: (الحمد لله)، وليس: (لله الحمد)، أي

أن الحمد فقط لله، لتقديم ما من حقه التأخير -إن تم-، ولكون الألف واللام في (الحمد) لاستغراق الجنس[٤٩]، أو للجنس أو الإستغراق[٥٠]..
وعلى أية حال فالمحصل أن: الحمد لله وحده..

ولما كان الحمد لله فقط لأنه المنعم الوحيد، فجميع النعم بيده، وجلب الخير ودفع الضر تحت أمره.. لما كان الأمر هكذا كان (لا إله إلا الله) فلا أحد نألـه له -بمعنى نتوسل به- غيره، فهل من العقل أن نتوسل بمن لا يستطيع قضاء حاجتنا؟!..

فنحن إذن نسبح الله وننزهه ونحمده ونوحده.. لأنه باختصار (أكبر) من أن يوصف، كما ورد في الرواية الشريفة التي ذكرناها سابقاً، ومن هو أكبر من أن يوصف، هو ليس مخلوق، ومن هو ليس مخلوق إما أن يكون معدوماً وإما أن يكون خالقاً.. ولما اقتضت الضرورة العقلية والفطرية والشرعية وجود خالق.. كان موجوداً.. بل كان واجباً القول بوجوده[٥١]..

٤٩-راجع الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ج١ ص٢٩.
٥٠-راجع الميزان في تفسير القرآن ج١ ص١٩.
٥١-لا على الإشتراك المعنوي في الوجود، فلا يكون قسيمًا حقيقياً للممكن. وقد سبق بحث ذلك في (دروس في العقائد الإسلامية الإستدلالية).

الثاني عشر والأخير: التسليم.

وهو في الجلوس الأخير في الصلاة بعد التشهد.. إنها العبارة التي نختم بها منهاج النجاح ومعلم الفلاح (الصلاة)..

حينما نقول: (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته)..

وبغض النظر عن ما هو المقدار الواجب أو الذي أستطيع الإكتفاء به للخروج من الصلاة، وغيره، فهذه مباحث فقهية لا علاقة لنا به هنا.. ولهذا نسأل هنا سؤالاً ونجيب عليه برواية شريفة نختم بها المؤلف راجياً التوسع مستقبلاً إن شاء الله..

ماهو معنى السلام في الصلاة؟

قد أجاب إمامنا الصادق أرواحنا فداه عن هذا السؤال المهم في رواية عظيمة فقال عليه السلام:

(معنى السلام في دبر كل صلاة الأمان ، أي من أدى أمر الله وسنة نبيه، خالصاً لله، خاشعاً فيه، فله الأمان من بلاء الدنيا، وبراءة من عذاب الآخرة.

والسلام، اسم من أسماء الله تعالى أودعه خلقه؛ ليستعملوا معناه في المعاملات والأمانات والإنصافات، وتصديق مصاحبتهم فيما بينهم، وصحة معاشرتهم.

فإن أردت أن تضع السلام موضعه، وتؤدي معناه:
-فاتق الله.
-وليسلم منك دينك وقلبك وعقلك ألا تدسنها بظلمة المعاصي.
-ولتسلم منك حفظتُك ألا تبرمهم وتملّهم وتوحشهم منك، بسوء معاملتك معهم.
-ثم مع صديقك، ثم مع عدوك؛ فإن من لم يسلم منه مَن هو الأقرب إليه، فالأبعد أولى.

ومن لا يضع السلام مواضعه هذه، فلا سلام، ولا إسلام،

ولا تسـليم، وكان كاذبـاً في سـلامه، وإن أفشـاه في الخَلـق)) [٥٢]

٥٢-بحار الأنوار ٨٢/٣٠٧-٣٠٨، الباب ٣٥ (باب التسليم وآدابه وأحكامه)، ح١٢.

2

كتاب الحياة

لماذا لم يعلمنا الله عز وجل كل شيء فنعيش بسعادة وكمال ورفاه وينتهي الأمر؟!

الجواب:

لأن الله لا يجبر الناس على النجاح كما لا يقودهم نحو الفشل كما سبق قبل سطور، بل الله كرّمنا بالعقل لكي نتعلم ونجتهد في الفهم..

ص

ثم فتح أمامنا باب الإبداع والإنتاج والتطور والتنافس وشجّعنا على ذلك ووعدنا بالثواب عليه[1]..

١-راجع مباحث الجبر والتفويض ففيه تفصيل طويل ، وهو من المباحث الشائكة التي هوى فيها كثير من قادة المدارس والمذاهب بل الأديان، ويبحث ذلك مفصلاً

وإلا
لم يكن هنالك معنى للحياة، ولا هدف، تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا..
فالله عز وجل (لما خلق العقل استنطقه ، ثم قال له: أقبل
فأقبل
ثم قال له:
أدبر
فأدبر
ثم قال:
وعزتي وجلالي ...أما إني إياك آمر وإياك أنهي وإياك أعاقب وإياك أثيب)[٢]

كما ورد في صحيحة محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام ولذا ولحكم العقل القطعي وغيره، كان (العقل) شرطاً لأن يكون الإنسان مكلفاً بالأحكام الشرعية.
فليس من العدل الإلهي تكليف المجنون مثلاً..

في البحوث العقدية، وقد تطرقنا لشيء من ذلك في «دروس في العقائد الإسلامية الإستدلالية» -مخطوط-

٢-وسائل الشيعة ب٣ من ابواب مقدمة العبادات. الحديث١.

ولكن أليس القرآن فيه كل شيء؟

نعم إن القرآن الكريم فيه تبيان كل شيء، بمعنى جوامع وأصول كل العلوم[٣] التي لا نعرف منها سوى نسبة بسيطة جداً وهي حرفين مقابل ٢٧ حرفاً من العلم[٤].

من هنا (إن) كنا لا نستطيع درك بقية العلم، فعلى الأقل يمكننا البحث والتطوير في هذين الحرفين، وأن نتفوق على جميع الحضارات.

لا أعني فقط علم الذرة وصناعة الطائرات وتقنيات تصميم وهندسة وخياطة الملابس إلكترونياً وبتقنية الليزر...

بل يشمل هذا فقه الحياة، والتعامل مع الآخرين، والعيش بسعادة (أيضاً)...

والسبيل إلى مواكبة الحضارات بل التفوق عليها والتقدم مسافات ضوئية، هو كتاب واحد..

٣-هنالك أراء أخرى فراجع.

٤-حيث أن (العلم سبعة وعشرون حرفا ، فجميع ما جاءت به الرسل حتى اليوم غير حرفين ، فإذا قام قائمنا أخرج الخمس وعشرين حرفا فبثها في الناس وضم إليها الحرفين حتى يبثها سبعة وعشرين حرفا) كما ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

ولكن!
هل يمكن أن يحتوي كتابا واحدا كل شيء؟!
وهل يمكن أن يكون هذا الكتاب محقا في كل ما يقول؟

لا..
هذا مستحيل كما يعرف الجميع

إلا في حالة واحدة!
وهي أن يكون مؤلف هذا الكتاب خالق كل شيء
وعالم بكل شيء..

فهل هنالك أحد هكذا؟!
نعم هو الله عز وجل
وكتابه هو القرآن الكريم!

ولكن لماذا جاء "دليل كل شيء" قبل وقت قصير من الآن فقط، لما لم يأتي سابقا في أيام نبي الله آدم ، أو نوح العظيم، أو إبراهيم الخليل، أو موسى الكليم، أو عيسى روح الله وكلمته؟!
لماذا كانت الرسالات والكتب تأتي ناقصة في زمانهم؟!

الجواب:

لأنك لا تستطيع أن تعلم طفلاً صغيراً كل شيء في اليوم الأول له . .

نعم.. ينصحك خبراء التربية بأن تبدأ الحديث معه منذ اللحظات الأولى كأن تغمره بكلمات الحب والحنان وكل ألوان الإيجابية وتتواصل معه جسدياً فتقبله وتحتضنه وتداعب خصلات شعره، فهذا من شأنه زرع الكثير من القيم، وإيصال العديد من الرسائل إلى هذا الطفل...إلخ لكن لا أحد يدعي أن بإمكانه تعليم طفله كل شيء منذ اللحظة الأولى.

إلا أن تكون معجزة فيكون أبوه الحسن العسكري عليه السلام أو أمه مريم المقدسة! [٥]

فسنة الله أن يأتي كل شيء بأسبابه الطبيعية التدريجية

حيث أنه (أبى الله أن يجري الأمور إلا بأسبابها)

من هنا إن كنا نريد:

-التطور.

حل مشكلاتنا الشخصية.

٥-قياس مع فارق إذ في المثالين لم يكن تعليماً، بل علم لدني سابق للولادة وعالم الأرحام وهو عن سعي مسبق استحق به هذا المقام والفضل، وكما قيل إن المثال يقرب من جهة ويبعد من جهة أخرى..

-تربية أبنائنا.
ـوجعلهم ناجحين.
-التطوير من وضعنا الإقتصادي.
-النجاح في التواصل والتعامل مع من حولنا.
-الإحساس بالسعادة.
-الكرامة والعزة.
-التفوق دراسياً.
-التغلب على العدو.
-إشاعة السلام.
إطلاق إمكاناتنا في الصناعة والعمارة والتجارة.
-...
والحصول على آخرة بأعلى المواصفات..

باختصار إذا كنا نريد النجاح في كل شيء[٦] أو "الفلاح" بتعبير أدق، علينا الرجوع إلى القرآن الكريم، الذي استطاع أجدادنا

٦- - يقول السيد الخوئي (J): (حسب القرآن عظمة ، وكفاه منزلة وفخرا أنه كلام الله العظيم ، ومعجزة نبيه الكريم ، وأن آياته هي المتكفلة بهداية البشر في جميع شؤونهم وأطوارهم ، وهي الضمينة لهم بنيل الغاية القصوى والسعادة الكبرى في العاجل والآجل) راجع البيان ص١٧ الطبعة الثامنة.

في التاريخ بواسطته صنع الحضارة الإسلامية التي تدين لها حضارة الغرب اليوم [٧]

٧-وكمثال انظر ماذا يقول د.رضا العطار نقلا عن ابن خلدون حول أثر المسلمين في الحضارة الغربية التي كانت تعيش الظلام والتخلف وذلك في القرون الوسطى . يقول عن العلماء الذين درسوا في بلاد الإسلام أنذاك : (إنهم كانوا متنوعين في العرق واللغة والدين والمذهب لكن ربطتهم رؤية معرفية ولغة ثقافية واحدة ، ألا وهي لغة القرآن الكريم التي كانوا يتحاورون بها ويؤلفون فيها وقد استفادوا من موقف الإسلام السمح في اندفاعاتهم نحو العلم اندفاعا لا يحفل بتعسفات الحكام أو بمضايقات البيئة وكان العلم لديهم تكليفاً حث على تحصيله كتاب الإسلام ورسوله الأعظم K . قوله تعالى : (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل يستوي الظلمات والنور) ؟

كان هؤلاء النخبة من الأعلام يمثلون جل العالم المتحضر على وجه الكرة الأرضية ، كان منهم فلكيون وصيادلة وأطباء وفلاسفة وأدباء وعلماء طبيعة ورياضيون ، أمثال الخوارزمي والكندي والمتنبي والرازي وابن يونس وابن رشد وسيبويه والخيام ، وأما ابن الهيثم البصري المولد فقد وصفه الكاتب الأمريكي المعاصر ميشيل هاملتون (michelle hamilton) «بأينشتاين زمانه» لانه اكتشف نظريات علمية ساعدت كل من كوبرنيكوس ونيوتن من تحقيق أهدافهم العلمية بعد ستمائة سنة.

وكتاب القانون في الطب لابن سينا الغني عن التعريف حيث اعتمد

كمرجع أساسي لدراسة الطب في الجامعات الأوروبية طيلة خمسمائة سنة أي إلى اواخر القرن الخامس عشر ، ولازالت أكثر جامعات العالم شهرة تحتفظ لحد اليوم بتماثيله وتسمي قاعاته باسمه. فجامعة اكسفورد تزين مكتبتها بتمثال ابن سينا إلى جانب أرسطو وأفلاطون اعترافا بقيمته العلمية...

وكذا يواصل د.العطار حديثه فيذكر مثالا آخر حول أثر المسلمين في إسبانيا بقوله :

(يقول المؤرخ الشهير -غوستاف لوبون- : كانت أسبانيا زمن القوط ذات رخاء قليل وثقافة واطئة ، ولكن بعد أن دخلها العرب في القرن الثامن الميلادي بدأوا ينشرون فيها رسالة الحضارة ، فاستطاعوا في أقل من مئة عام أن يحيوا خراب الأرض ويقيموا أفخر المباني وينشطوا الحركة التجارية ، بعدها تفرغوا إلى دراسة العلوم والآداب وترجمة الكتب الأجنبية وتأسيس الجامعات التي كانت وحدها الملجأ الوحيد لثقافة أوروبا لزمن طويل - وقد نمت مدينة قرطبة بسرعة حتى زاد عدد سكانها على المليون نسمة وغدت الحياة فيها متسمة بالرفاه والنعيم .

بدأ المسلمون في تأسيس حضارة متفوقة جعلت من أسبانيا أجمل وأغنى البلدان الأوروبية ، وانشأوا مدن كبيرة مزدهرة لم يكن لها نظير على وجه الأرض ، خططها مهندسون واسعوا الإطلاع وشيدها بناؤون مهرة فغدت قرطبة عاصمة الأندلس مركز الثقافة لبدان أوروبا قاطبة .

كانت شوارع العاصمة تزيد على عشرة أميال طولا وقد عبّدت وتمت إنارتها في الوقت الذي كانت فيه شوارع لندن وباريس ترابية وعرة وكان المواطنون يشقون طريقهم أثناء الليل في الظلام الحالك بصعوبة ويغوصون عميقا في الوحل بعد هطول الأمطار

يقول المؤرخ الفرنسي دريبار - نحن الأروبيون مدينون للعرب بالحصول على أسباب الرفاه في حياتنا العامة ، فالمسلمون علمونا كيف نحافظ على نظافة أجسادنا ، إنهم كانوا عكس الأوروبيين الذين لا يغيرون ثيابهم إلا بعد أن تتسخ وتفوح منها رائحة كريهة ...
وللتابع البحث اقرأ أيضا الأثر المماثل الذي أحدثه المسلمون عندما ذهبوا لسويسرا حيث يشرح ذلك مفصلاً سماحة آية الله السيد هادي المدرسي في كتابه الرائع «الإسلام منهج الحياة» ص٢٨٣.
ويمكنك أيضا مراجعة كتاب «الشيعة والتشيع» للسيد الشيرازي(قدس سره) .

ولأنني أهدف في هذا الكتاب إلى إعطاء خطوات عملية نحيا بها فلنجري تجربة سوف أخبرك عن أسبابها لاحقا..

اقرأ الآيات التالية من القرآن الكريم بالأسلوب الذي أنت معتاد عليه (أسلوبك الخاص بك في الترتيل):

﴿وَ الَّذينَ هاجَرُوا في سَبيلِ اللهَّ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ ماتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللهُّ رِزْقاً حَسَناً وَ إِنَّ اللهَّ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقينَ (٥٨) لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ وَ إِنَّ اللهَّ لَعَليمٌ حَليمٌ (٥٩) ذلِكَ وَ مَنْ عاقَبَ بِمِثْلِ ما عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللهُّ إِنَّ اللهَّ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (٦٠) ذلِكَ بِأَنَّ اللهَّ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَ يُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ وَ أَنَّ اللهَّ سَميعٌ بَصيرٌ (٦١) ذلِكَ بِأَنَّ اللهَّ هُوَ الْحَقُّ وَ أَنَّ ما يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْباطِلُ وَ أَنَّ اللهَّ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبيرُ(٦٢)أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللهَّ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللهَّ لَطيفٌ خَبيرٌ(٦٣)لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ إِنَّ اللهَّ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَميدُ(٦٤)أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللهَّ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي الْأَرْضِ وَ

الْفُلْـــكَ تَجْرِي فِي الْبَحْـــرِ بِأَمْرِهِ وَ يُمْسِـــكُ السَّـــمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِـــهِ إِنَّ اللهَّ بِالنَّاسِ لَـــرَؤُفٌ رَحِيمٌ(٦٥)وَ هُوَ الَّذِي أَحْيَاكُـــمْ ثُـــمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُـــمْ إِنَّ الْإِنْســـانَ لَكَفُورٌ ﴾(٦٦ الحج ٥٨-٦٦

والآن أحضر لك قلماً ولنبدأ !

أولاً / هل تتذكر عن ماذا تتحدث الآيات ؟

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

ثانياً/ هل خرجت من هذه الآيات بأي شيء يمكنك تطبيقه في حياتك؟

.....

.....

.....

.....

.....

.....

نحن نأخذ من القرآن البركة والنور واطمئنان النفس.. كما نداوي به مرضانا، ونستنزل به الرزق، ونستخيره في أمورنا المهمة، ويحفظنا عندما نريد السفر وو...
وكل هذا مهم جداً..

لكن كيف نستطيع الوصول إلى فهم وتفاعل أكبر مع معاني القرآن الكريم؟ هذا هو ما يهمنا هنا.

يتم ذلك عبر الكثير من العوامل، ولكن لأننا نريد الوصول إلى حد يجعلنا نتفاعل مع القرآن ونستأنس به ونطور وننور به حياتنا، سأذكر هنا ما يتناسب والمقام، موكلاً بذلك المراحل الأعلى كالتدبر والتفسير للكتب التخصصية والدروس الحوزوية [٨]

ما سنتبعه بإذن الله للوصول إلى فهم أكبر للقرآن الكريم

٨-هامش راجع مثلا (التبيان) للشيخ الطوسي قدس سره

- و (مجمع البيان) للطبرسي قدس سره

- و (البيان) للخوئي قدس سره

- و (تقريب القرآن للأذهان) للشيرازي قدس سره

- و (من هدى القرآن) و(بينات من هدى القرآن) للمدرسي -دام ظله الشريف- والأمثل للمكارم الشيرازي -دام ظله الشريف- وغيرها مما يطول ذكره جدا...

وأما في التدبر فراجع مثلا موسوعة (من هدى القرآن) وموسوعة (بينات من فقه القرآن -دراسة قرآنية تعتمد استنباط السنن الإلهية من آيات الذكر الحكيم- للمرجع المدرسي -دام ظله الشريف- (التدبر في القرآن) لآية الله السيد محمد رضا الشيرازي قدس سره

- وغيرها...

هي (خمس خطوات ذهبية) تعد من أهم العوامل التي يمكن ذكرها في هذا المستوى، لتحقيق التفاعل مع كتاب الله، وهي:

-الاستذكار والدعاء.

-النظرة الواقعية.

-اكتشاف السياج أو السور، والتركيز على الموضوع الأساسي للآيات.

-حل مشكلة صعوبة المفردات اللغوية.

-مهارة إلقاء التساؤلات.

١-٥
أولاً

أن تتذكر في كل مرة تفتح فيها القرآن ماذا تمسك بين يديك، وأن تشعر وتستحضر أن هذا "كتاب الله"، ثم أن أن تدعو لنفسك بامتلاك القدرة واقعاً على فهم آيات الله والإستهداء بنورها!..

والآن اقرأ معي:

((بِسْمِ اللهِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُ أَنَّ هَذَا كِتَابُكَ الْمُنْزَلُ مِنْ عِنْدِكَ

عَـلَى رَسُـولِكَ مُحَمَّـدِ بْـنِ عَبْـدِ اللهِ صَـلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَ آلِـهِ وَ كِتَابُـكَ النَّاطِـقُ عَـلَى لِسَـانِ رَسُـولِكَ وَ فِيـهِ حُكْمُـكَ وَ شَرَائِـعُ دِينِـكَ أَنْزَلْتَـهُ عَـلَى نَبِيِّـكَ وَ جَعَلْتَـهُ عَهْـداً مِنْـكَ إِلَى خَلْقِـكَ وَ حَبْـلًا مُتَّصِـلًا فِيـمَا بَيْنَـكَ وَ بَـيْنَ عِبَـادِكَ.

اللَّهُـمَّ إِنِّي نَـشَرْتُ عَهْـدَكَ وَ كِتَابَـكَ اللَّهُـمَّ فَاجْعَـلْ نَظَـرِي فِيـهِ عِبَـادَةً وَ قِـرَاءَتِي تَفَكُّـراً وَ فِكْـرِي اعْتِبَـاراً،

وَ اجْعَلْنِـي مِمَّـنِ اتَّعَـظَ بِبَيَـانِ مَوَاعِظِـكَ فِيـهِ وَ اجْتَنَـبَ مَعَاصِيَـكَ، وَ لَا تَطْبَـعْ عِنْـدَ قِـرَاءَتِي كِتَابَـكَ عَـلَى قَلْبِـي، وَ لَا عَـلَى سَـمْعِي، وَ لَا تَجْعَـلْ عَـلَى بَـصَرِي غِشَـاوَة،

ً وَ لَا تَجْعَـلْ قِـرَاءَتِي قِـرَاءَةً لَا تَدَبُّـرَ فِيهَـا بَـلِ اجْعَلْنِـي أَتَدَبَّـرُ آيَاتِـهِ وَ أَحْكَامَـهُ آخِـذاً بِشَرَائِـعِ دِينِـكَ وَ لَا تَجْعَـلْ نَظَـرِي فِيـهِ غَفْلَـةً، وَ لَا قِـرَاءَتِي هَذْرَمَـةً، إِنَّـكَ أَنْـتَ الـرَّءُوفُ الرَّحِيـمِ))[٩]

وهـذا في الواقـع هـو الدعـاء الـذي يسـتحب قراءتـه قبـل تـلاوة القـرآن، وهـو كـما رأيـت لا يأخـذ إلا بضـع ثـوان..

٩-إقبال الأعمال ج١ ص١١٠.

٤-٢
ثانياً

يقول أحد أعظم الرجال اليوم:
"كنت في حدود التاسعة من عمري، عندما رميت بنفسي لأول مرة في نهر صغير كان ينبثق من شط الفرات الكبير الذي يقطع كلاً من تركيا، وسوريا، والعراق، ثم يصب في الخليج.

لم أكن أعرف السباحة من قبل، ولكنني لسبب ما كنت أعتقد جازما أنني أعرفها جيدا. ويذكر زملائي إذ ذاك أنني كلما جرى الحديث عن السباحة كنت أقول: إنني أتقنها بشكل ممتاز.

لا أدري من أينم جاءتني فكرة أنني أعرف السباحة؟
فلعل أصدقائي الذين كانوا يتحدثون عنها هم الذين زرعوها فيّ، من خلال أحاديثهم معي. أو لعل أحلام الطفولة، وحبّي العميق للماء -كأي طفل آخر- هو الذي أوحى إليّ أنني فعلا أعرف كيف أسبح.
وقبل ذلك لم تكن لي تجربة النزول في الماء، إلا في بيتنا الذي

كان فيه حوض صغير لا يتعدى نصف متر في الطول ومثله في العرض.

في ذلك اليوم الحار من الصيف، قطع معلمنا الوحيد الدرس، وسمح لنا بأن نعود إلى بيوتنا مبكراً، وكعادته حذرنا من التأخير عن عودتنا إلى أهالينا.
في الطريق اقترح أحد الزملاء أن نذهب للسباحة في ذلك النهر، وهو -وإن كان صغيرا بالقياس إلى مصدره- إلا أنه كان كبيرا بالمقدار الذي يحتاج إلى فن السباحة حتما. فأهالي البلدة إنما كانوا يتمتعون بالسباحة فقط في ذلك النهر. ولم يكن هناك -وربما حتى الآن- أي مسبح صناعي نظرا لعدم الحاجة إليه.
أتذكر كم كان الشوق إلى الماء يشدّني، الأمر الذي دفعني إلى أن أخلع ملابسي الخارجية قبل وصولنا إلى النهر تماما.
وقفت بشجاعة وبلا خوف إطلاقا عند حافة الجسر فوق سدّ صناعي بُني
لتقسيم الماء إلى قسمين، وكنت ممتلئاً بالفخر وأنا أرى زملائي كيف ينظرون إليّ.

ثم اندفعت إلى أعماق الماء، كانت لحظات وبعدها كنت منخرطا مع الزملاء في المباراة داخل الماء، وكنت أقطع النهر ذاك جيئة وذهابا، وقمنا بالسباق في السرعة أيضا، ثم

خرجنا وعدنا إلى بيوتنا.

كانت وجوهنا الملتفحة بحرارة الصيف تكشف بوضوح عن المكان الذي جئنا منه.
عندما شاهدتني أمي صرخت قائلة:
-هل ذهبت للسباحة؟
ثم التفت إليّ أبي وكرر السؤال:
-هل ذهبت للسباحة؟
قلت: نعم
قال: كيف تذهب وأنت لاتعرف أن تسبح بعد؟
قلت: أنا أعرف السباحة.
قال: ومتى تعلمتها؟
قلت: لم أتعلمها، لكنني أعرف السباحة.
قال: أين سبحت؟
قلت: عند بوابة السدّ

التفت والدي -رحمه الله- إلى أمي، وهو لا يصدق ذلك، وكرر قولي: عند بوابة السد؟!

ثم أخذ كل من أبي وأمي يحدثاني عن خطورة الخوض في الماء لمن لا يعرف السباحة، وعن الأطفال الذين ماتوا خنقاً في النهر ذاته، وأخذا يحمدان الله تعالى أنه نجاني هذه المرة،

كما عاتب معلمنا الذي تركنا قبل الموعد، وسمح لنا بالخروج من (المكتب) الذي كان يعلمنا فيه.

في الأيام التالية، كثيراً ما كان يجري الحديث عن مغامرة السباحة التي قمت بها، حتى بتُّ فعلا أخاف من الماء. وبعد مرور أسبوعين، عندما مررت على النهر، أخذت أفكر بالخطأ الذي ارتكبته حين رميت بنفسي في الماء وأنا لم أجرب من قبل عملية السباحة. ودهشت لأنني سبحت، وفقدت ثقتي بنفسي تماماً.
وعندما أخذني والدي -بعد عام من ذلك اليوم- لكي يعلمني السباحة، بدأت من الصفر كأني طفل آخر، وكم احتجت إلى تشجيعه، ومساعدته، حتى تعلمت بصعوبة، وبعد عدة أيام، الخطوات الأولى للسباحة.
أما القفز من على الجسر فقد أخذ مني شهرين بعد تعلم السباحة حتى قمت به.

وعندما أعود بذاكرتي إلى تلك الأيام، لا أشك في أن ثقتي بالنجاح، وغياب فكرة الفشل تماما عن شعوري كانت وراء قدرتي على السباحة.
ولما غاب النجاح واحتل الفشل مكانه، عدت إلى نقطة الصفر، وكأني طفل آخر صرت بحاجة إلى من يعلمني السباحة خطوة فخطوة.

وأنا أفكر اليوم عن عوامل النجاح في الحياة أتذكر حكايتي مع السباحة، وكيف أن كل من يفكر بالنجاح، ويعمل كأنه ممنوع عليه الفشل سينجح في أعماله، كما نجحت أنا ذلك اليوم»[١٠]

أظن أنك سمعت باسم هذا الرجل مسبقاً، إنه أحد أبرز الخطباء والمؤلفين والمفكرين، النابغة صاحب الكتب التي تقارب ٥٠٠ كتاب! والذي قد ألقى ما يزيد على ١٠٠٠٠ آلاف محاضرة في مختلف الدول حول العالم!!، والأستاذ في الحوزة العلمية، الذي قام بتدريس الكفاية والرسائل في بداية العشرينات من عمره!

والحائز في أول شبابه على الوكالات الشرعية والروائية من علماء كالسيد عبدالأعلى السبزواري-قدس سره- والسيد المرعشي النجفي-قدس سره، والسيد محمد الشيرازي-قدس سره- والسيد روح الله الخميني-قدس سره-، والذي ارتقى فيما بعد و واصل تقدمه خلال سنين طويلة وإلى اليوم حيث أصبح واحداً علماء الشيعة الأكثر تأثيراً ...

إنه سماحة المربي آية الله الحاج السيد هادي الحسيني المدرسي -دام ظله الشريف-..

١٠-سلسلة (تعلم كيف تنجح) ج٢ (عوامل النجاح) ص٩.

إذن فكل ما خطر في ذهنك التشاؤم تذكر النجاحات التي حققها سماحته بالتفاؤل..

هل رأيت الألبسة ذات القياس المفتوح أو ما يسمى بـ (free size)؟!

إن الإيحاء الإيجابي هو كذلك باختصار وأكثر ..
إذ إن علينا ارتداؤه في كل موضوع وإلا سنصاب بإنفلونزا التشاؤم والتي تؤدي بدورها إلى الفشل المبكر..
فإذا كنت تحمل جهازك المحمول في جيبك دائماً، فإن عليك أن تحمل الإيجابية والتفاؤل في الجيب الآخر..

من هنا كان لابد أن نرى القرآن كخطاب إلهي لنا نحن البشر ، نعم هو مقدس ولكن قدسيته هذه لا تعني أن ليس لدينا القدرة على فهمه..
فإن أوحيت لنفسك بصعوبة شيء سيصبح كذلك غالباً، لأن أفعالك هي ترجمة لما توحي لنفسك به، وهي تطبيق وانعكاس ليس إلا، لما نفكر به ونتخيله..
فالحقيقة هي أن القرآن للجميع
فهو بحر، كل يغترف منه بحجم ما يملك من وعاء..
حيث أن (آيات القرآن خزائن ، فكلما فتحت خزينة ينبغي

لـك أن تنظـر مافيهـا) كـما قـال الإمـام زيـن العابديـن [11] عليه السلام فـ«هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين»[12]

فالقرآن جاء لكي يخاطب
المؤمنين (يا أيها الذين آمنوا)
والناس (يا أيها الناس)
وكل بنى آدم (يا بني آدم)

ويخاطـب العلـماء، والأزواج والزوجـات، والأبنـاء والبنـات، والمجاهديـن، والمنافقـين ووإلـخ

دعني أكررها مرة أخرى: إنه خطاب للجميع
وكل واحد منا عليه أن يأخذ منه بقدره..

ولـذا أولاً كان علينـا أن لا نفكـر أبـداً وأن لا نوحـي لأنفسـنا بعـدم القـدرة عـلى فهـم القـرآن الكريـم[13] ومـن الجديـر بالذكـر

١١-الكافي الشريف ج٢ ص٦٠٩.

١٢-آل عمران١٣٨.

١٣-وهناك مستويات ليس من حق من لا يملك الأهلية الدخول فيها كمستوى الإستنباط فيما يرتبط بآيات الأحكام والتي يتفرع بناء عليه مبحث النسخ والتخصيص أو التقييد – في الغالب- والآيات المتشابهة كذلك ، فهذه الآيات علينا تلاوتها والإستفادة من نورها بمقدارنا.

هنا أن المقصود من فهم القرآن هو فهمه كما هو.. بمعنى أن علينا عندما نأتي لتلاوة القرآن الكريم أن نضع كل ما نملك من أفكار ومعتقدات سواء أخذناها من المجتمع أو من آبائنا أو نحن استنتجناها أو... أن نضعها جانباً وأن نتلمذ فقط على مائدة القرآن الكريم بدون أن نحمّل الآيات ما نحمله من مسبقات لاسمح الله..

فليس الحديث عن التفسير ليكون تفسيرا بالرأي ، ولا الحديث عن الإستنباط ليكون استظهارا بدويا لحكم عن جهل ، ولم يكن الحديث عن التدبر ليكون تحميلا للمنهج ما لايحتمل - كما في الاستنباط مثلا- ، أما فيما يرتبط بالآيات المتشابهة فقد ذكر سماحة آية الله السيد محمد رضا الشيرازي -قدس سره- : « الآيات التي ادعوا نسخها هي (٢٢٨) آية تقريبا وقد ذكر في (التمهيد) أن (٢٠) آية منها فقط هي المنسوخة...(راجع : التمهيد في علوم القرآن ج٢، الصفحات ٢٩٦-٤٠٤).. وإذا قارنا هذه الكمية الضئيلة بمجموع آيات القرآن التي تبلغ (٦٦٦٦)آية -على المعروف- لوجدناها أنها لا تشكل سوى قطرة صغيرة في بحر خضم. ويمكن أن نقول مثل ذلك القول -بشكل تقريبي طبعا- في الآيات المخصصة وفي الآيات المقيدة « راجع (التدبر في القرآن) لآية الله السيد محمد رضا الشيرازي -قدست نفسه الطاهرة- . ثم إن هذا لا يتعارض وماقلنا سابقا من أن المتشابهة ليس من حق من لايملك الأداة أو الأهلية -إن صح التعبير- الولوج فيها ، فحالها حال الإستنباط الذي يفتقر إلى مؤونة أكبر .

حيث "إن فريقا من الناس يتلون القرآن فيؤولون آياته حسب أهوائهم ابتعاداً عن العمل بها، إن هؤلاء لا يؤتون فهم القرآن أبدا بل إن تلاوة القرآن ستزيدهم وزرا ووبالا. إنما يؤتى علم القرآن من تواضع للحق، وسلم لله وفتش عن الواقع ، واستعد سلفا لاتباع الحقيقة لو انكشفت له" سماحة آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي-دام ظله الشريف)[١٤]

إذن
فالقاعدة الثانية تقول :

(إقرأ القرآن على أنه خطاب موجه لك)
وهو كذلك بالفعل..

وهذا ما أشار إليه الإمام الصادق عليه السلام في تفسير الآية المباركة (ورتل القرآن ترتيلا) أي : (قف عند وعده ووعيده ، وتفكر في أمثاله ومواعظه) [١٥]

١٤-راجع بحوث في القرآن الحكيم ص٣٨.

١٥-مصباح الشريعة ص٢٩.

قد يكون أمراً واضحاً ، لكن نحن في كثير من الأحيان نخاف من فهم القرآن الكريم لأنه مقدس ، فقد نكتفي بسرده سرداً روتينياً على ألسنتنا من غير أن نشعر..

إذن "فعلى المرء أن لا يترك تلاوة هذا الكتاب على نفسه، يُشعرها أنه يستمع إلى خطاب الله سبحانه له، فإنه تعالى أنزل كتابه رسالة منه إلى جميع العالمين" [١٦]
كما قالها سماحة آية الله العظمى السيد علي السيستاني -دام ظله الشريف- بعد حثه على التأمل والتفكر في كتاب الله عز وجل..

١٦-راجع (نصائح سماحة السيد السيستاني -دام ظله- للشباب المؤمن) ص٣١

٥-٣
الخطوة الثالثة

نحو فهم أكبر لكتاب الحياة وتحقيق الإستفادة منه هي :

«اكتشاف السياج الذي يحوي الآيات المباركات»

لقد سميت السورة بهذا الإسم لأن هنالك سوراً يحيط بالآيات..
حيث أن كل سورة من القرآن الكريم تتحدث حول موضوع ما ، ثم هنالك أيضا سياجات أخرى داخل السياج الكبير.

ولهذا قد يبدو لنا أن القرآن الكريم ينتقل من موضوع لآخر بلا أية رابطة!
ففي الآيات السابقة التي تلونها معاً قبل صفحات، كانت الآيات تتحدث عن الذين هاجروا في سبيل الله، ثم فجأة انتقل السياق للحديث عن قدرة الله وأنه يولج الليل في النهار، ويولج النهار في الليل...إلخ
فما الربط بين هذا وذاك؟!
ثم تتكلم الآيات فجأة أيضا عن أن الدعاء لغير الله لا

فائدة منه، ثم مرة أخرى تعود الآيات لقدرة الله ولكن من جانب النعم فتقول : (ألم تر أن الله سخر لكم...) ، وفجأة! يصبح الحديث عن أن الله يحي ويميت الإنسان وأن الإنسان كفور، فما ربط هذا بذاك؟!،
وهكذا نسأل في كل القرآن..

من هنا جاءت أهمية البحث عن الذي ألّف بين الكواكب داخل مجرتنا، والمخلوقات في السماوات، والأرض، والبحار في أرضنا، كيف ألّف بين الآيات
في كتابه المعجزة؟!

إن استطعنا فهم هذا سوف نتقدم خطوات وخطوات في فهمنا لكتاب الله «كتاب الحياة»، وقرآنه الكريم، وبهذا سوف نتقدم خطوات وخطوات نحو السعادة والنجاح والحضارة والإستقرار والتقدم الأسري والعلاقاتي والدولي والبيئي وو... إلخ..

إن هذا التساؤل : كيف ألّف الله القرآن؟
يشبه السؤال: كيف خلق الله الكون؟

يمكن أن يأتي أحدهم ويفترض افتراضات غير منطقية وبلا أدلة علمية لكيفية نشأة الكون، لكن هذا ليس إلا إغراقاً

في الجهل وبعض الغرور، وأني لأتعجب من آراء البعض في كيفية بداية الخلقة حتى إن البعض يفصل كثيراً وبلا أية أدلة واقعية، في كيف خلق الله الكون، حتى لتظن أنه نبي متصل بالوحي وقد أخبره الله، أو أن ذلك كان مسجلاً على آلة تصوير وقد تم عرضه لهذا الأخير!..

لذلك كما لم يشهدني الله على خلق السماوات والأرض، كذلك لم يشهدني على خلق كتابه العزيز..

من هنا كانت الإجابة عن هاذين التساؤلين صعبة جداً.. ولو خلي الناس لوحدهم قد يستغرقون الكثير والكثير والكثير من الوقت، والتجربة، والمطالعة، والحبر، والورق، والتدبر ووو ، للوصول إلى الإجابة الصحيحة..
وقد يكونوا مخطئين في النهاية كما اشتبه الأمر على من قال بأن الأرض مسطحة، وقد يكونوا محقين بعد جهود أجيال متلاحقة، في مسألة جزئية ضئيلة بالنسبة لأسرار هذا الكون[١٧]..

١٧-وهنالك العديد من البحوث العلمية والمنطقية في هذا المجال -ومن الجدير بالذكر أن الدين الإسلامي قد يفتح آفاقاً للحل، لكن يظل هذا الأمر من الشؤون التي يحث الدين على إجراء البحوث الفيزيائية والفلكية... فيها، والتدبر والتفكر والسير في الأرض بحثاً عنها، فوظيفة الأنبياء هي «ليثيروا لهم دفائن العقول» ولهذا «بحث» طويل رائع آمل أن نطرحه في

عليّ أن أقول هنا إن القرآن الكريم والأنبياء والرسل يعطونا أحياناً بعض الإجابات الجاهزة حول بعض الأسرار ، رغم أن العادة هي أن يلمّحون بالإجابة فقط، لكي يفتحوا لنا المجال للتدبر والتفكير والتجربة، ولكي نصل نحن إلى النتيجة بجهودنا فنستحق بذلك الثناء والثواب والنجاح..

ومن حسن حظنا أن تساؤلنا هذا قد ساعدنا المعصوم في الإجابة عنه..

فقد جاء في الحديث الشريف: (نزل القرآن على سبعة أحرف:

مكان آخر إن شاء الله.

ومن النظريات القوية اليوم في بداية الخلقة هي نظرية الإنفجار الكبير أو ما يسمى بـ(The big bang) المنسوبة لـ(Georges lemaitre) (جورج لومتر) مع اختلافنا الكبير مع توجيه (Stephen hawking) (ستيفن هوكينغ) و (Richard Dawkins) (ريتشارد دوكنز)، لهذه النظرية وخلوصهم إلى عدم وجود الخالق.

حيث أن التساؤل يظل قائماً: من أحدَثَ هذا الإنفجار بلا قوانين للفيزياء؟! ثم من أين أتت ذرته الأولية أساساً؟! . وقد خصصت حلقة في برنامج «سنريهم آياتنا» على YouTube (يوتيوب) للرد على ذلك.

أمر وزجر، وترغيب، وترهيب، وجدل، وقصص، ومثل)[١٨]

من هنا إذا فهمنا هذا سوف نفهم أن الآيات عندما كانت تقول :

(َالَّذِينَ هاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللهَّ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ ماتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللهُّ رِزْقاً حَسَناً وَ إِنَّ اللهَّ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٥٨) لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ وَ إِنَّ اللهَّ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ (٥٩) ذلِكَ وَ مَنْ عاقَبَ بِمِثْلِ ما عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللهُّ إِنَّ اللهَّ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (٦٠))

ثم انتقل السياق إلى : (ذلِكَ بِأَنَّ اللهَّ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَ يُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ وَ أَنَّ اللهَّ سَمِيعٌ بَصِيرٌ)(٦١)

حيث أنه كنا قد فهمنا أن الآيات تتحدث عن الذين هاجروا ، ثم وجدناها فجأة تتحدث عن قدرة الله، إذا فهمنا الرواية السابقة سوف نفهم الآن ببساطة أن هنالك مجموعة من الناس أوذوا في بلدانهم فهاجروا في سبيل الله، بمعنى

١٨-راجع تفسير الصافي ج١ ص٣٩.

أنهم هاجروا لأجل الله، حيث أنه كان بإمكانهم الجلوس في بلدانهم لكن بهذا لن يستطيعوا صنع الحضارة التي أمرنا الله بها ، هؤلاء ليرزقنهم الله رزقا حسناً، فلم يكتفوا بالجلوس والدعاء مقابل الأذية، بل قرروا الهجرة..

هؤلاء إن صنعوا الحضارة بعد هجرتهم هذه فقد نجحوا وهذا أولوي بديهي لم تذكره الآيات هنا ، وإنما ذكر لنا من نشك في كونهم من الناجحين أو من الفاشلين، وهم من يهاجرون في سبيل الله ، لكنهم يموتون أو يقتلون.

أولئك أيضا من الناجحين حيث أن الله عز وجل سيرزقهم رزقاً حسناً ... ، أما الناس الذين لم يهاجروا ولكنهم عاقبوا من آذاهم بمثل ما عاقبهم هؤلاء لينصرنهم الله..

ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل..

إن هذا يسمى حسب ما تعلمناه من الرواية التي تذكر لنا الأحرف السبعة لآيات القرآن، بـ(المثل)..

فكما أن الله عز وجل مرة يلج الليل في النهار فيكون الفصل شتاءا وبهذا يكون الليل أطول، أو يلج النهار في الليل فيكون الفصل صيفاً وبذا يكون النهار أطول.. كذلك الله سنته في الناس ، فإذا ظلم أحدٌ أحداً سرعان ما سيتبدل الأمر وينتصر الحق.. وهكذا سيظل الصراع بين الحق والباطل دائماً..

نحن إذا كنا فهمنا الرواية السابقة بحق سوف نفهم

أن هـذا الـذي يبـدو خروجـاً مـن الآيـات عـن الموضـوع بـلا مناسـبة هـو معجـزة في البيـان والتمثيـل، فالآيـات الشريفـة إمـا أن تـ(أمرنـا) بخـير، أو تـ(تنهانـا) أو عـن شر..

ولهـذا فـإن الله عـز وجـل يذكـر لنـا الثـواب الـذي سـننالـه إن عملنـا بذلـك الأمـر أو الإنتهـاء عـن ذلـك النهـي.
ولذا يأتي بعد الأمر أو الزجر، ما سمته الرواية بـ(الترغيب «الثواب» ، أو «العقاب» (الترهيب) الذي سننالـه والعياذ بالله، إن لم ننته عما نهانا الله عنه[١٩]..

ثـم إن الله عـز وجـل لتثبيـت أهميـة مـا يأمرنـا بـه أو سـببه أو فوائـده..
يـأتي لنـا بالقسـم الخامـس - بعـد الأمـر والزجـر والترغيـب والترهيـب- مـن الروايـة وهـو (الجـدل)، حيـث الإسـتدلال الرصـين لإزالـة الشـبهات التـي قـد تتعلـق بقلوبنـا وتمنعنـا مـن العمـل بهـذا الأمـر أو الإنتهـاء بهـذا النهـي ، أو التصديـق

١٩-وحري بنا أن نخاف من نار أوقدها من أوقد الشمس الملتهبة التي لو اقتربنا منها لذبنا عن آخرنا.. خالق هذه الشمس يقول إن هذه الشمس لاشيء.. فتدبر ، وكذا حري بنا أن نتشوق للجنان فخالق هذه الأنهار والطبيعة الخلابة وكل صور الجمال الذي نندهش ونذوب أمامه في الدنيا ، خالقها يقول لنا أنها فتنة وامتحان وأنها لاشيء أمام الجنان.. فتدبر.

بحقيقة ما ..

فعندما يخبرنا الله عز وجل عن المعاد مثلاً، فإنه سبحانه لا يقول لنا هذا وانتهى الأمر، بل يذكرنا :

(قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم)- فكما خلقها أول مرة يخلقها مرة أخرى-*(الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون).

هذا ليس خروجاً عن الموضوع بل : يخلقها مرة أخرى؛ فهو الذي خلق لكم العجائب، حيث أنكم تأخذون القطعة من الشجرة الخضراء فتحكونها بقطعة أخرى فتشتعل النار [٢٠]

٢٠-«قالوا: (إن البحث العلمي أكد أن كل أنواع الوقود من أشعة الشمس، وحتى اتقاد الخشب إنما هو بتخزن هذه الأشعة فيه، وإلا فإن عناصره، الأخرى كالماء والتراب لا نار فيها.

ذلك أن كل عملية تركيب كيماوية بحاجة إلى امتصاص الطاقة أو بثها، وعملية امتصاص الأشجار لثاني أكسيد الكربون بحاجة -حسب هذا القانون- إلى الطاقة، وهكذا فهي تستفيد من الطاقة الشمسية، وتستمر الأشجار في اختزان الطاقة بصورة منتظمة.

وهذه العملية لا تقوم بها الأخشاب اليابسة بل الشجر الأخضر، ولذلك ركز الحديث حوله، بالرغم من أن الناس يعرفون أن الخشب اليابس أسرع اشتعالا إلا أنه لا يخزن الطاقة)» ولذا كان العجب في إيقاد النار من الشجر الأخضر الممتلئ بالحياة والماء. راجع (من هدى القرآن الكريم ج٧ ص٤٠٦ ، نقلا عن الأمثل ج١٤ ص٢٢٥-٢٢٦، نقلا بتصرف)

ولـذا فـإن الله أثبـت لنـا المعـاد بإعطائنـا مثـالا في إيقـاد النـار مـن الشـجر الأخـضر، وهـذا يكفـي لكـي نؤمـن بقدرتـه عـز وجـل ، أمـا لـو أردنـا التعمـق أكثـر فسـنتدبر في الآيـة ونقـول لمـاذا هـذا المثـال بالتحديـد؟!

وهنـا يمكننـا ذكـر مثـلا أحـد الوجـوه الكثـيرة التـي ذكرهـا سـماحة المرجـع الدينـي آيـة الله العظمـى الحـاج السـيد محمـد تقـي المـدرسي-دام ظلـه الشريـف- في (مـن هـدى القـرآن) وأن نقـول:
إن ذرات الحـرارة التـي تنفصـل عـن الشـمس وتخـزن في الشـجر الأخـضر تبعـث مـرة أخـرى إليهـا، ولكـن دون أن يعـدم منهـا شيء كـما يحسـب الجاهـل، كذلـك ذرات الجسـم.

أما القسم السادس وهو (القصص)
فـالله عـز وجـل يفهمنـا كيـف نحيـا بسـعادة ونحقـق الحضـارة الماديـة والروحيـة عـبر القصـص التـي يذكرهـا عزوجـل، وهـذه القصـص مختـارة بدقـة لا توصـف، فهـي في المـكان والسـياق المناسـب تمامـا.
كيـف لا ومـن وضعهـا في مكانهـا هـو مـن وضـع ذرات المـخ الـذي نفكـر بـه ، ولـو قمـت بتغيـير بسـيط في ذراتـه وخلايـاه لعلنـا تحولنـا مـن عقـلاء إلى أقـل - مـن حيـث المهـارات

الذهنية- من الحيوانات!، أو لعل ذلك أثر على كامل جسمنا وسبب الوفاة مباشرة!، أو لعل ذلك في أحسن الأحوال أفقدنا إحدى مهارات الذهن كالقدرة على تذكر الصور، أو القدرة على الإستنتاج، أو القدرة على الإلتذاذ بالطعام!..

وأخير في القسم السابع (الجدل)
وذلك عندما يأمرنا الله مثلا بأن نؤمن به وحده ، وأن عيسى النبي - على نبينا وآله وعليه السلام - ليس إلا عبدا لله ، عندما يأمرنا الله بهذا فإنه يبين لنا بعد ذلك لماذا لم يكن المسيح إلها مع أنه ليس له أب ، فيرد الله هذه الشبهة بـ(الجدل) بالتي هي أحسن والحكمة والموعظة الحسنة ، فيعلل تبارك وتعالى ذلك لنا بـ:
(إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون)

فإذا عندكم عيسى إلها لأن ليس له أب، فالأولى أن تتخذوا آدم (أيضا) إلهاً لأنه فاقد لكلا الأبوين، وهذا ما لاترضونه وترفضونه بشدة -كون آدم إلها- فما لكم كيف تحكمون؟!

إذن فإن هذه التقسيمات السبعة تعيننا على فهم أكبر للقرآن الكريم وينبغي علينا أن نضعها نصب أعيننا كل ما أردنا

تلاوة القرآن الكريم - هامش : هذا شيء يسير وعامل واحد من مجموعة عوامل تعين على فهم السياق القرآني وإيجاد الروابط بين آياته، فمن يريد الإزدياد ينبغي عليه مراجعة كتب العلماء التخصصية في ذلك..--

٤-٥
رابعاً

يذكر الكثير من الشباب أنهم يعانون من صعوبة في فهم بعض مفردات القرآن الكريم.

وهنا يمكن الحديث عن أساليب حل هذه المشكلة مفصلاً، كطريقة معرفة معنى المفردة من خلال السياق، وطرق اكتشاف ظلال المفردة، وكيفية التمييز بين الحقيقة والمجاز- حيث يصعب ذلك أحيانا ويلتبس الأمر-، وإيجاد الفوارق اللغوية بين الكلمتين أو الكلمات ووو من البحوث التي يمكن طرحها على ثلاث مستويات من العمق لا أقلاً.

، إلا أنها من الشؤون التخصصية الموكولة إلى علوم أخرى مرتبطة باللغة بشكل عام أو العربية بشكل خاص، وإلى علم

الأصول والمنطق مثلاً وغيرها.[٢١] ولذا أقول هنا باختصار :

إذا واجهتك مشكلة مع كلمة ما يمكنك بسهولة تامة البحث عنها في (الإنترنت) أو في تطبيق للهواتف المحمولة. وإن لم يكن هذا كافيا - كأن كان المعنى الذي وجدته يتناقض مع سياق الآية أو الآيات ، فينبغي السؤال عن معنى هذه المفردة من أحد علماء الدين..
قد يحصل هذا قليلا، لكن لا تخسر فرصة تطوير لغتك، فأحد أهم طرق جلب العلم هو فتح الباب للعلم إن طرق بابك..

٢١-أما لمن يحب الإطلاع فيمكن مراجعتها مبسطة أيضا ، في كتابنا (قصة الأصول) الذي يرجى له الطباعة قريبا، وهو يهدف أساسا للمساهمة في وضع منهج حوزوي للأطفال لأسباب ليس هنا صدد بيانها، إلا أنه يعتمد عدم الفصل بين الموروث الأصولي واليوم، أو ما يسمى بالأصالة والتطوير، فهو يرجى له أن يكون بمثابة الممهد لولوج الأصول في المراحل التالية والتدبر وغيره.

٥-٥
إلق تساؤلاً على الآية

كان هنالك رجلاً يتلو الآية هكذا:
(والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءاً بما كسبا نكالاً من الله والله غفور رحيم)..
فسمعه أعرابي فقال له: أخطأت!
قال:وكيف؟
قال:إن المغفرة والرحمة لا تناسبان قطع يد السارق، فتذكر الرجل الآية وقال: (والله عزيز حكيم).
فقال الأعرابي: نعم بعزته أخذها، وبحكمته قطعها.[٢٢]

إن أسلوب إلقاء التساؤلات على النص هو أحد الأساليب الذي يستخدمها الكثيرون قبل امتحانات المدرسة أو الجامعة، ولعل كثير منا لا يعلم أن هذا الأسلوب هو من أهم المهارات التي يمتلكها الفيزيائي والأحيائي ومسوّق البضائع، والمربي...إلخ وكذا المتأمل في القرآن الكريم.. والمتدبر بطريق أولى ..

إنَّ هذا الأسلوب في التعامل مع القرآن الكريم، قد يفيدك

٢٢-بحوث في القرآن الحكيم.

أكثر من أي شيء آخر، فهو يفتح مدارك عقلك، ويوسع أفقك في فهم الآية..

ثمَّ إنَّ الله عزّ وجل كما اختار كوكب الأرض في منظومته الشمسية الذي كان في مكانه الملائم تماماً لعيشنا وبقية المخلوقات من حولنا، كذلك اختار كل كلمة في كتابه المعجزة..

ولذا دوما إلق تساؤلاً وحاول البحث عن الإجابة من نفس الآيات أولاً، ثم بالبحث ثانياً كسؤال أحد رجال الدين من حولك..

وهنا بعض الأمثلة على ذلك من الآيات التي سبق وأن ذكرناها كمثال:

-تقول الآية (ليرزقنهم)، لماذا لم تقل شيئاً آخر كـ(ليرزقهم)؟! أو (سيرزقهم)؟! أو (ليعطيهم)؟!أو (سيهبهم)؟!...

-تقول الآية: (رزقاً حسناً)، لماذا لم تقل: (رزقاً مباركاً) مثلاً؟!، أو (رزقاً طيباً)؟!

-تقول الآية:(ليدخلهم مدخلاً يرضونه، والله لعليم حليم)، لماذا لم يكن آخرها أي شي آخر كـ(والله عزيز غفور)؟! أو (والله كبير متعال)؟!

3

أحكام للحياة..

حققنا إنجازات ضخمة بالفعل!

فجميع مجتمعاتنا الشيعية اليوم في حالة من التقدم غير المعهود..
فنحن اليوم كشيعة، وبفضل جهود الجميع من آباء، وأمهات، وشباب، وفتيات، نحقق رقيا بعد رقي على الصعيد الثقافي، والإجتماعي ،والإقتصادي و... إلخ
وسواء كنت تعلم بآثارك أو لا، لقد كان لك دوراً مهماً في الإنتقال بواقع الأمس إلى واقع اليوم،
دعني أشكرك قبل كل شيء على تأسيس ملايين المساجد، والحسينيات، والحوازت، والجمعيات الخيرية، والمواكب الحسينية، ومراكز تنمية الأطفال دينياً وحضارياً، ومؤسسات

تنمية الشباب بالطرق المختلفة،والمواكب الحسينية، والمراكز الدينية الخاصة بالنساء، وإقامة الندوات ، وإحياء المناسبات، ومراكز التبليغ المنتشرة في أرجاء العالم وو...إلخ

لايمكنني إحصاء كل ما قمنا بفعله هنا، لكن بالجهود المتكاثفة لقد استطعنا تحقيق الكثير، بأعداد وكيفيات كان جيل آباءنا وأجدادنا يحلمون بها ويتمنون لو أنها توجد!

لقد حققنا كمجتمع شيعي منتشر في أنحاء العالم ذلك الحلم الذي كان يبدو مستحيلاً، ولكن لعل ذلك حدث تدريجياً، فلم نشعر بحجم الفرق بين قبل خمسين سنة فقط، واليوم!..

بعد هذا أظن أيضا أنك تتفق معي بوجود خلل ما بالرغم من تحقيق كل هذا ! ووجود هذا الخلل لا يعني ألا نحافظ على الثبات في هذا التقدم الذي سبق..

ألا تلاحظ معي وجود بعض النواقص المفصلية؟!
وكأننا نفتقر إلى الخطوة المرحلية التالية؟!

لماذا لا نستطيع بعد هذا أن نشعر بالنجاح والسعادة المرجوة،

والرفاه الذي يتناسب وحجم ما نملك، من علم وثقافة بأكمل الأديان الإلهية؟

لماذا لم يساعدنا الدين في أن نكون الأفضل في التربية والتعليم والإقتصاد والعلاقة بين الزوجين والأسرة الواحدة والأصدقاء وتحقيق الأهداف ووو...؟
أساسا هل الناس من حولك يعتقدون بفاعلية الدين في الحياة؟
هل للدين علاقة بالحياة الشخصية خارج حدود المسجد والحسينية والموكب والمؤسسة؟

إذا كنا نعتقد بأن الله عز وجل أعطانا منهاجا لحياتنا فلا بد أن يكون هذا المنهاج هو الأكمل

لأن الخالق أعرف بمخلوقيه ولسنا بحاجة إلى مدائح الخبراء حول العالم وتأييداتهم في صحة أحكام الإسلام.
نعم قد يهمنا أن نعرف ذلك وأن نتابعه بالطبع، لكن ليس سبب قيامنا بالصلاة، والذبح بالطريقة الإسلامية، ولبس الحجاب، وترك أكل لحم الخنزير، وترك الخمر ووو...،
هو أننا قرأنا الدراسات العلمية الحديثة التي أثبتت بالأدلة كون هذه الأحكام هي الأفضل للحياة، وكوننا سمعنا شهادات الجامعات، والعلماء ومراكز البحوث والمختصين

والخبراء حول ذلك..

فما دمنا نعتقد بضرورة وجود خالق لهذا الكون، وأن هذا الكون لا يمكن أن يأتي من العدم، وأن هذه الجبال، والأشجار، والحيوانات، والحشرات، والميكروبات الدقيقة ، بل كل الذرات التي شكلت مجرتنا، لا بد لها من خالق مصمم..

وما دمنا نعتقد بضرورة وجود هدف لهذا الخالق الحكيم من خلقه لنا وللحياة ..

وما دمنا نعتقد بضرورة إرساله للرسل والأنبياء؛ لإعطائنا البرنامج الإلهي لتحقيق ذاك الهدف، وليكونوا نماذج عملية وأسوة لنا في التطبيق..

وما دمنا نعتقد بلابدية كون الرسالات الإلهية منذ آدم، ونوح، وإلى داوود، وسليمان، ومن بعد موسى، ثم عيسى، وانتهاءا بأعظم الخلق نبينا محمد ﷺ ، كانت تسير نحو التكامل شيئا فشيئا، وكانت تُطوّر الأحكام الإلهية بالتدريج، تماماً كما كانت تتطور البشرية بنظام «خطوة خطوة»، في الإقتصاد، والسياسة، والإكتشافات العلمية، وتسهيل الحياة، وتطوير الأساسيات ...

إذا كنا نعتقد بكل ذلك فنحن نعتقد إذن بأن لدينا أكمل الأديان والرسالات الإلهية.

من هنا..
كان الإسلام منهجاً للحياة!..

فهو ليس خاصا بفترة زمنية معينة، أو جماعة ما، فما طرحه الإسلام، ليس مجاراة لواقع عصر رسول الله ﷺ وانتهى الأمر، بل هو مجاراة لطبيعة الإنسان بما هو إنسان!..

بمعنى أن الإسلام يبلور في الناس القيم، التي ستنسى بالتأكيد، في ظل التنافس على صنع الحضارة المادية، المتمثلة اليوم في ناطحات السحاب، والجامعات، والأجهزة الإلكترونية، والتخطيط المدني، وعالم السياسة وو...
والمتمثلة أيضا في المساجد والحسينيات والمواكب وو...
باعتبارها جميعا مظاهر شخصية للنجاح..

هذا لا يعني أن لينا الإهتمام بتشييد ما سبق، فالدين عبر الأنبياء منذ بداية التاريخ كانوا هم الدعاة لذلك أساساً وهم من ابتدء صنع الحضارة، يوم كان الناس لا يعرفون كيف يخيطون لباساً، أو كيف يستفيدون من الحديد لصنع الإبتكارات..

وإلى اليوم يوصي علماؤنا -ورثة الأنبياء- بذلك[1]..

لكـن يعنـي أن ذلـك لا يكفـي حيـث أن الحضـارة بـلا قيـم كالجسـد بـلا روح..
مـن هنـا يـأتي الديـن ليذكرنـا بتلـك القيـم ، التـي لا يتحجـر في طريقـة تطبيقهـا .

بمعنـى أن المهـم لـدى الديـن أن تكـون كريـماً سـواء كان الكـرم بنحـر جمـل لضيفـك أو بدعوتـه في إحـدى المطاعـم الفاخـرة في رومـا..
وكـذا إن المهـم لـدى الديـن هـو الصـدق ، سـواء كان الصـدق

١ ومن خير ما أستطيع ذكره هنا من مثال ما كتبه سماحة آية الله العظمى السيد علي الحسيني **السيستاني** (دام ظله الشريف) في نصائح خطها سماحته للشباب المؤمن ومنها : « وليهتم طلاب العلم الجامعي والأساتذة فيه بالإحاطة بما يتعلق بمجال تخصصهم مما انبثق في سائر المراكز العلمية وخاصة علم الطب حتى يكون علمهم ومعالجتهم لما يباشرونه في المستوى المعاصر في مجاله بل عليهم أن يهتموا بتطوير العلوم من خلال المقالات العلمية النافعة والاكتشافات الرائدة ، ولينافسوا المراكز العلمية الأخرى بالإمكانات المتاحة وليأنفوا من أن يكونوا مجرد تلاميذ لغيرهم في تعلمها ومستهلكين للآلات والأدوات التي يصنعونها ، بل يساهموا مساهمة فعّالة في صناعة العلم وتوليده وإنتاجه كما كان آبائهم روّادا فيها وقادة لها في أزمنة سابقة ، وليست أمة أولى من أمة بذلك...» (نصائح سماحة السيد السيستاني للشباب المؤمن ص١٥)

في نقل خبر بجانب بيت أبي ذر الغفاري في المدينة أو بجانب البيت الأبيض في واشنطن ، ولم يكن المهم لدى الدين أن تطلب العلم في بغداد أو في الصين ..
المهم أن تتحقق القيم..

ولذا كان الإسلام هو الحل الأفضل في كل شيء ، في كل مكان ، ولكل زمان!

لذا!..
إذا كان لدينا في فقهنا الإسلامي خمسة أحكام تكليفية :

١ - الإباحة
٢ - الوجوب
٣ - الحرمة
٤ - الإستحباب
٥ - الكراهة

فذلك سيعني أن كل فعل نقوم به سيكون واحداً من هذه الأحكام الخمسة .
فالمثال المشهور شرب الماء
هو مباح في الأصل[٢] (الحالات الطبيعية)

٢-بالعنوان الأولي.

وواجب إن توقفت عليه حياة الإنسان
ومستحب بهدف التقوي على طاعة الله
ومكروه إن سخنته الشمس مثلا..

هل تعرف ماذا يعني أن نطبق الأحكام الخمسة على حياتنا ؟ ![٣]
هذا يعني أن من المستحب للزوجة الإستفادة من مساحيق التجميل والكحل والعطر لزوجها و الجلسات النسائية! [٤]

هذا يعني أن من المحرم إستخدام الأسلحة الذرية والبيولوجية والكيماوية ![٥]

هذا يعني أن من الواجب أن تقي نفسك من الإصابة بالسكري![٦]

هذا يعني أن من المستحب الذهاب لطبيب الأسنان كل فترة

٣-كثير مما سيذكر موافق لآراء أغلب مراجعنا العظام أبقاهم الله ذخراً وشرفاً للأمة الواحدة المرحومة.

٤-راجع الرسالة العملية **لسماحة آية الله العظمى السيد محمد تقي الحسيني المدرسي-دام ظله الشريف-(الفقه الإسلامي) ج١ ص١١١.**

٥-المصدر السابق ج١ ص٤٥٩.

٦-المصدر ج٢ ص٢٤.

وأخرى[٧]، كما أن من المستحب الاستحمام مرة كل يومين[٨]!

هذا يعني أن من الواجب على المسلم الإلتزام بالمواثيق الدولية التي ترعى حقوق الإنسان[٩]!

هذا يعني أن من المستحب تزيين الشوارع بالأشجار والورود، والمساجد بالحدائق والرياحين، والمدن بأحزمة خضراء، وغابات اصطناعية لا أُقل إن لم تكن طبيعية[١٠]!

وهذا يعني أن من المحرم على المكلف إشعال الحرائق العبثية في الغابات[١١]!

هذا يعني كون إنزال العقاب الجماعي محرماً[١٢]!

هذا يعني أن من المستحب عرض الماء على الحيوان قبل تذكيته (ذبحه أو نحره)[١٣]!

٧-المصدر ج٢ ص٩٤.
٨-المصدر ج١ ص١١١.
٩-المصدر ج٣ ص١٤.
١٠-المصدر ج١ ص١١١.
١١-المصدر ج٣ ص١٦.
١٢-المصدر ج٣ ص١٨.
١٣-المصدر ج٣ ص ٥٧.

وسوف يعني إنزال الأحكام الخمسة على الواقع حرمة تسخير الأطفال للشغل! واستحباب تدريبهم وتعليمهم مهنة ما [١٤] وفق الحقوق الشرعية.

وسوف يعني وجوب احترام الملكية الفردية وحرمة الإضرار بمصالح الأمة[١٥]!

وسوف يعني استحباب أن يحافظ المكلف على سلامته حسب أعلى المقاييس الصحية، فيسعى لكي يكون معدل ضغط الدم عنده،وطبيعة تركيب المواد في دمه، وقدرة عينه، وأذنه، ونبضات قلبه، و... كلها حسب المقياس الأفضل طبيا![١٦]

وسيعني عدم جواز الاعتداء على الحقوق الاجتماعية للآخرين، أو للأحزاب، والمذاهب الأخرى، أو الدول الأخرى، أو الديانات الأخرى،إذ أنها ليست بأقل حرمة من الحقوق المالية[١٧]!

و سيعني استحباب إنشاء صندوق في العائلة (العشيرة)

١٤-المصدر ج٢ ص٨٥.
١٥-المصدر ج٣ ص١٥.
١٦-المصدر ج٢ ص٩٤.
١٧-المصدر ج٢ ص١٠٣.

للقرض الحسن، والمساعدة الخيرية، (للزواج والسكن وتهيئة فرص العمل وما أشبه) وتنمية الكفاءات العلمية[18]!

وذلك يعني عدم جواز الإسراف، من الدولة، والناس، في المعادن المحدودة (كالبترول)، والغابات الطبيعية، فهي ليست ملكاً لهذا الجيل فقط، ولذا لايجوز الإسراف فيها دون التفكير بمستقبل البشرية[19]!

إنه يعني أن لا فرق في أكل أموال الناس بالباطل بين الحقوق المادية أو المعنوية، كحق التأليف، وحق الإبداع، وحق التدريس، وحق المحاماة، وماشاكل[20]!

وسوف يعني عدم جواز بخس أحد حقه، أو ظلمه في جهده، كما لايجوز لأحد أن يطالب بأكثر من جهده وسعيه، وهكذا يجب حذف كل ألوان أكل أموال الناس بالباطل، غش، أو سرقة، أو احتكاراً، أو استغلالاً، غير مشروع[21]!

وإنه يعني أن من الواجب شرعا على الدولة، الاهتمام

١٨-المصدر ج٢ ص١٠٩

١٩-المصدر ج٢ ص١١٦.

٢٠-المصدر ج٢ ص٢٨.

٢١-المصدر ج٢ ص٢٧.

بالزّمنـي، الذيـن يحتاجـون إلى رعايـة خاصـة، كالمعوقـين، والمبتلـين بالثلاسـيما، أو الفشـل الكلـوي، وكذلـك الاهتـمام بالمصابـين بأمـراض عقليـة ونفسـية[٢٢]!

إنـه يعنـي أن مـن الواجـب عـلى الأمـة انطلاقاً مـن أدلة الشـورى الشرعيـة، انتخـاب مؤسسـات دسـتورية، هدفهـا تقديـم المشـورة للرئيـس، ولهـا صلاحيـات محـددة حسـب الأحـكام الشرعيـة، وهـي تقـوم بـدور الوسـيط بـين الأمـة والرئيـس، في تقديـم المشـورة، وفي الرقابـة عـلى الأداء[٢٣]!

إن تطبيق الإسلام فعلا..
يعنـي حرمـة الإعتـداء عـلى حقـوق الآخـر الشرعيـة، التـي يراهـا العـرف حقـا لازمـاً، مثـل : حـق السـبق في المسـجد أو في الطريـق، أو حـق التقـدم في الـشراء أو البيـع، أو حـق الأولويـة في أخـذ قـرض مـن البنـك، أو فتـح اعتـمادٍ تجـاري، أو حـق الدراسـة في جامعـة أو حـوزة، أو حـق أولويـة المـرور حسـب الأنظمـة المرعيـة[٢٤]!

الـشرع واقعـا يعنـي أن إشـاعة السـلام هـو هـدف القتـال، فـإذا

٢٢-المصدر ج٢ ص٢٤.
٢٣-المصدر ج٣ ص٢٦.
٢٤-المصدر ج٢ ص١٩.

ألقى الطرف الآخر السلام، لايجوز الاستمرار في العمليات العسكرية، بهدف الحصول على غنائم، أوبهدف تحطيم العدو والإنتقام منه، وما أشبه[٢٥]!

إن تطبيق الحكم الشرعي يعني أن لو قامت دولة بتزوير المباركات التجارية لدولة أخرى، جاز للثانية أن تفعل ما تسترد به حقها[٢٦]!

إن دين محمد النبي ﷺ يقول أن من المستحب لك إقتناء حيوانات أليفة في البيت[٢٧]!

إنه يعني استحباب وضع حديقة للمنزل تحتوي على بركة ماء، والأفضل كون الماء جاريا[٢٨]!

إن تطبيق الإسلام يعني أن من الواجب شرعا على الدولة الاهتمام بتهيئة وسائل ومناهج وفرص التعليم للجميع، والعمل على مكافحة الأمية والقضاء على الجهل[٢٩]!

٢٥-المصدر ج٢ ص٣٤.

٢٦-المصدر ج٢ ص٤٤.

٢٧-المصدر ج٢ ص٨٠.

٢٨-المصدر ج٢ ص٨٠.

٢٩-المصدر ج٢ ص٩٧.

إن الرسالة العملية تقول لا يجوز شرعاً المرور بالدراجات النارية أو الهوائية وما أشبه فوق الممر الخاص بالمشاة[٣٠]!

وهكذا إن الإسلام متكامل.. وأسلوب حياة للناجحين! ولا يتحمل الإسلام تبعات من يدّعي اتباعه.. لأن الله عز وجل لا يجبر الناس على النجاح كما لا يجبرهم على عدم الانتحار فلا يوقف الجاذبية مثلاً، أو يلين الأرض، لكيلا تتهشم رؤسهم! ولو جبرهم لم يكن معنى لأن يثيبهم أو يعاقبهم في الآخرة فلماذا يجازى المجبور بالتكريم والثواب أو بالتحقير والعقاب؟

٣٠-المصدر ج٢ ص٧٣.

أسأل الله التوفيق لكم ولي، وأن نكون من المقربين إلى الإمام المنتظر المهدي أرواحنا لتراب مقدمه الفداء)

حوزة القائم (عج)
ليلة شهادة الإمام
موسى بن جعفر عليه السلام
١٤٣٨هـ
عبدالله القيصوم

المحتويات

الفصل الأول:

التحليق عالياً.....ص٨

الشرح المختصر للجانب اللفظي والشكلي من الصلاة.....ص٨

*لماذا القيام لبدأ الصلاة.....ص٨
*ماذا يعني قولنا (الله أكبر)؟!.....ص٩
*تأملات في سورة الفاتحة المباركة.....ص١٢
-(بسم الله الرحمن الرحيم).....ص١٢
-(الحمد لله رب العالمين)..... .. ...ص١٣
-(الرحمن الرحيم)..... ....ص١٤
-(مالك يوم الدين).....ص١٤
-(إياك نبعد وإياك نستعين).....ص٢٠
-(اهدنا الصراط المستقيم)..... ...ص٢١
-(صراط الذين أنعمت عليهم...).... ...ص٢١
-(...غير المغضوب عليهم...)..... ...ص٢١
-(...ولا الضآلين).....ص٢٣
*السورة:(قل هو الله أحد) مثالاً.....ص٢٤
-(قل...)..... ....ص٢٤
-(...هو...)..... .....ص٢٥
-(...الله...)..... .....ص٢٥
-(...أحد).....ص٢٥
-(الله الصمد).....ص٢٧

-(**لم يلد ولم يولد**).....ص٢٩
_(ولم يكن له كفواً أحد)... .....ص٢٩

*معنى الركوع وذكره.....ص٣١
-(سبحان).....ص٣٢
-(ربي).....ص٣٣
-(العظيم).....ص٣٧
-(وبحمده).....ص٣٧

*معنى القيام من الركوع.....ص٣٨
-(سمع الله لمن حمده).....ص٣٩

*معنى السجود.....ص٣٩

*معنى (اللهم صل على محمد وآل محمد) المستحبة بعد ذكري الركوع والسجود.....ص٤١

*معنى الجلوس بين السجدتين (الإستراحة)....ص٤٥
-(أستغفر الله ربي وأتوب إليه).....ص٤٥

*معنى التشهد.....ص٤٧
_(بسم الله وبالله)..... .....ص٤٨
-(والحمدلله).....ص٤٨
-(وخير الأسماء لله).....ص٤٩
-(أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صل على محمد وآل محمد.....ص٤٩

*الذكر المستحب حال القيام (بحول الله وقوته أقوم وأقعد).....ص٥٢

*التسبيحات الأربع.....ص٤٥

*التسليم.....ص٥٧

الفصل الثاني:

كتاب الحياة.....ص٦١

*لماذا لم يعلمنا الله كل شيء فنعيش بنجاح وسعادة وينتهي الأمر؟!.....ص٦١
*لماذا جاء دليل كل شيء في زماننا؟!.....ص٦٤
*والآن..احضر قلماً ولنبدأ!.....ص٧١
*كيف نستطيع التفاعل مع معاني القرآن في التلاوةص٧٢
*خمس خطوات ذهبية.....ص٧٤
-الاستذكار والدعاء.....ص٧٤
-النظرة الواقعية.....ص٧٦
-اكتشاف السياج والسور ومهارة التركيز على الموضوع الأساس.....ص٨٦
-حل مشكلة صعوبة الكلمات.....ص٩٦
_مهارة إلقاء التساؤلات.....ص٩٨

الفصل الثالث:

أحكام للحياة.....ص١٠٠